بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل هذه المادة من:

مكتبة المهتدين الاسلامية لمقارنة الاديان

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

الرسالة المحمدية في المؤلفات الغربية

أ. د. محمود حمدي زقزوق
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة قطر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

مجلة مركز بحوث السنة والسيرة
العدد الرابع ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

تمهيـد :

في حلقـات سابقة[1] عرضنا طائفة من تصورات الغربيين للإسلام بصفة عامـة ولسـيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة ، وذلك من واقع ما عرضه جوستاف بفانموللر Gustav Pfannmueller في كتابه « موجز في أدب علوم الإسلام » Handbuch der Islamliteratur الذي نشر بالألمانية في برلين عام ١٩٢٣ وأعيد نشره عام ١٩٧٤[2] .

وفي هذه الحلقة نتابع بإذن الله ما بدأناه في الحلقات السابقة ، ونقوم بترجمة بعض فصول أخرى من الكتاب المذكور[3] ، وهي تلك الفصول التي عرضها بفانموللرتحت عنوانين رئيسين هما : أولاً : التعاليم المحمدية ، وثانياً : القرآن الكريم والحديث .

وتحت هذين العنوانين يأتي الحديث عن النقاط التالية :

- التناول العام للتعاليم المحمدية .
- العقائد الأخروية .
- التصور الإسلامي للألوهية وقضية الوحي .
- القرآن ونظرة الغرب إليه وتطور هذه النظرة .
- الترجمات الكاملة للقرآن الكريم في اللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية .
- الترجمات الجزئية .
- المؤلفات الغربية التي تعد بمثابة مداخل إلى القرآن الكريم وتاريخه .
- تفسير القرآن .
- الحديث النبوي : ببليوجرافيا الحديث - مجموعات الحديث - بحوث حول الحديث .

ونود أن نذكر القاريء الكريم بأن كتاب بفانموللر المشار إليه يشتمل على

---

(١) نشرت هذه الحلقات في حوليتي كلية الشريعة ومركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر ثم جمعت في كتاب بعنوان : « الإسلام في تصورات الغرب » - مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٨٧ .

(٢) إعادة نشر هذا الكتاب بعد نصف قرن من نشره أول مرة تدل على مدى أهميته لدى الباحثين الغربيين من المهتمين بالدراسات الإسلامية .

(٣) راجع كتاب بفانموللر من ص ١٩٨ حتى ص ٢٣٥ .

عرض موجز لمحتويات العديد من المؤلفات الغربية حول الإسلام في اللغات الأوربية المختلفة . وهو يكتفي في كثير من الأحيان بمجرد عرض الآراء الرئيسية في هذه المؤلفات دون إبداء وجهة نظر خاصة . ولا يوجد بالكتاب هوامش إلا في النادر القليل جداً . وحتى تكتمل الفائدة فإننا لا نكتفي بمجرد الترجمة وإنما نقوم بالتعليق على ما يرد في هذه الفصول من تصورات . وذلك تصحيحاً لبعض الأفهام الباطلة وتصويباً للتصورات المغلوطة ، كما نقوم أيضاً بالتعريف بأعلام المستشرقين والمؤلفين الغربيين الذين يرد لهم ذكر في هذه الفصول[1] . ومن ناحية أخرى عمدنا إلى تقسيم الموضوع إلى فقرات ووضعنا لها عناوين جانبية حتى يتيسر للقاريء الإلمام في سهولة ويسر بأطراف الموضوع .

وإنه لمن نافلة القول أن نشير إلى أهمية التعرف على ما يقوله المؤلفون الغربيون عن ديننا وقرآننا وسنة نبينا وتاريخنا كله ، وكل ما يتصل بعلومنا الإسلامية من قريب أو من بعيد . فهذا كله ينبغي أن ندرسه بعناية تامة حتى نبني مواقفنا وخططنا وتحركاتنا العلمية على أسس متينة ، ولا يجوز لنا أن نستمر في مسلسل الجهل بما يكتب عنا وعن ديننا بحجة أن كل ما يصدر عن المستشرقين وكتاب الغرب حول الإسلام إنما يصدر من منطلق الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين ، فهذا عذر أقبح من الذنب . فالعلم في كل الأحوال خير من الجهل ، لأن الجهل يوقع صاحبه دائماً في أخطاء فوق أخطاء .

وما يورده بفانمولر هنا يقف به عند التاريخ الذي نشر فيه الكتاب أول مرة عام ١٩٢٣ . ومن هنا فإن الكتاب يخلو من الإشارة إلى المؤلفات الحديثة التي صدرت بعد هذا التاريخ . ونرجو - في مناسبة أخرى إن شاء الله - أن نتدارك

---

(١) لم نستوعب كل الأعلام الذين ورد لهم ذكر في هذه الفصول نظرا لأن كثيرين منهم قد سبق ذكرهم في الحلقات السابقة . وقد سبق التعريف بهم حينذاك . هذا فضلاً عن أن عدداً ممن وردت أسماؤهم في هذه الفصول يعدون من المقلين جداً في الإنتاج العلمي . ومن أجل ذلك لم تبرز أسماؤهم في المحيط الاستشراقي ، الأمر الذي جعل كلامن نجيب العقيقي في كتابه (المستشرقون) بأجزائه الثلاثة ، ود . عبد الرحمن بدوي في موسوعته عن المستشرقين لا يشيران إليهم من قريب أو من بعيد . ولم يكن تحت أيدينا هنا في الدوحة مراجع أجنبية أخرى لاستيفاء التعريف بالجميع .

بعض هذا النقص بعرض بعض أهم ما صدر في مجال الدراسات الإسلامية في الغرب بعد التاريخ المشار إليه .

ومنذ عام ١٩٧٩ ونحن ننادي بضرورة إنشاء مركز بحوث في أي مكان في العالم الإسلامي يقوم بدراسة الكم الهائل من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام[1] ، ويتابع النشاط الاستشراقي ، ويصدر المؤلفات والموسوعات التي تعرض وجهة النظر الإسلامية بلغات عديدة عرضاً علمياً سليماً لتكون رداً موضوعياً على كل الافتراءات ضد الإسلام في الغرب . فالجهود الفردية في هذا المجال ستظل جهوداً متواضعة لاتفي بالغرض المطلوب .

وقد ظهرت في نهاية العام الماضي بوادر طيبة - كان لي شرف المشاركة فيها - لإنشاء مثل هذا المركز البحثي المنشود على أن يكون مقره في البداية في إحدى الدول الأوربية حتى يكون قريباً من المؤسسات الاستشراقية . ونرجو أن تكلل هذه الجهود قريباً بالنجاح إن شاء الله .

---

(١) لقد نادينا بذلك في مؤلفاتنا : الإسلام في الفكر الغربي (١٩٧٩) ، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (١٩٨٣) ، والإسلام في تصورات الغرب (١٩٨٧) . وقد شاركنا بالإضافة إلى ذلك في ندوة للرد على المستشرقين عام ١٩٧٩ عقدتها المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة بالقاهرة ، وندوة مماثلة عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة عام ١٩٨٥ في مدينة يفرن بالمغرب .

ترجمة وتعليقات

التعاليم المحمدية

التناول العام للتعاليم المحمدية

لقد رأينا[١] عرضاً للتعاليم المحمدية في ثنايا المؤلفات التي تتناول التاريخ السياسي والحضاري للإسلام (ص ٣٢ - ٥٩) ، أو التي تتحدث بطريقة عامة عن الدين الإسلامي (ص ٦٠ - ٨١) ، أو التي تتعلق بسيرة محمد (ص ١٦٤ - ١٩٨) ، وكذلك في المؤلفات التي تتناول القرآن (ص ٢٠٦ - ٢٢٩) وصلاته باليهودية (ص ٩٨ - ١٠٤) وبالمسيحية (ص ١٠٤ - ١١١)[٢] .

كلوديوس :

وأول من قام في القرن التاسع عشر بتخصيص كتاب للحديث عن التعاليم المحمدية كان هـ . هـ . كلوديوس H.H. Cludius من هلدزهايم (بألمانيا) . ولم تكن المهمة التي أخذها على عاتقه في كتابه : « دين محمد في ضوء القرآن : عرض وتفسير وتقييم »[٣] - لم تكن متمثلة في عرض الإضافات والمفاهيم المتقلبة للفرق الدينية[٤] المحمدية ، وإنما كانت مجرد عرض لمضمون القرآن مستعيناً في ذلك بترجمة بويزن للقرآن (الطبعة الثانية الصادرة في هاله (بألمانيا) عام ١٧٧٥ - انظر ص ٢١٧)[٥] .

---

(١) يشير المؤلف إلى الفصول السابقة من كتابه .

(٢) تشير هذه الأرقام الموضوعة بين قوسين هنا وفي مواضع أخرى من هذه الفصول إلى أرقام الصفحات التي ورد فيها ذكر الموضوعات المشار إليها في كتاب بفانموللر .

(٣) صدر هذا الكتاب في ألتونا Altona بألمانيا عام ١٨٠٩ .

(٤) يستخدم المؤلف هنا مصطلحا مسيحيا فيصف هذه الفرق بأنها « فرق كنسية » وقد ترجمناها بالفرق الدينية وضعاً للأمور في نصابها .

(٥) هذه إحالة إلى ص ٢١٧ من كتاب بفانموللر حيث أشار هناك إلى هذه الترجمة . وسيرد الحديث عنها في هذه الفصول عند الحديث عن الترجمات الألمانية للقرآن الكريم .

وفي مقدمة الكتاب يتحدث كلوديوس عن محمد وعن القرآن وعلاقته باليهودية والمسيحية . وبعد هذه المقدمة يعرض التعاليم القرآنية المتصلة بالموضوعات التالية : الله - المخلوقات - الإنسان - الذنوب - التوبة - الإيمان - الالتزامات الأخلاقية للمؤمنين - الاستعانة (بالله) على التقوى أو التسليم الكامل لله - العادات المقدسة - الأشياء الدينية والعقوبات الدينية[1] .

ثم يتحدث بعد ذلك عما ورد في القرآن من عناصر من الأساطير العربية والكتب اليهودية والمسيحية المشكوك في صحتها (الكتب الأبوكروفية)[2] . وفي فصل ختامي يعطي حكماً عاما على الدين المحمدي ، ويقوم بعقد مقارنة بينه وبين دين المسيح ، وبعد ذلك يأتي في نهاية الكتاب ملحق يتناول فيه الفرق المختلفة لدى المحمديين .

ديتنجر :

وفي « مجلة توبنجن لعلم اللاهوت »[3] كتب ديتنجر Dettinger « مقالات في علم العقيدة من القرآن » . وكما سبق أن فعل كلوديوس يريد ديتنجر أيضاً أن

---

(١) يستخدم المؤلف هنا أيضاً - كما هي عادته - المصطلح المسيحي فيقول : « الأشياء الكنسية والعقوبات الكنسية » . وقد ترجمناها « بالدينية » مثلما سبق أن فعلنا ذلك من قبل .

(٢) لقد درج المستشرقون في كتاباتهم عن القرآن على التسليم - دون دليل حقيقي - بمقولة شائعة لديهم تقول بأن القرآن الكريم من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم . ومن هنا يأتي بحثهم عن الأصول المزعومة التي استقى منها محمد قرآنه . وهنا يخلطون بين معتقداتهم الدينية والبحث العلمي . وكل محاولاتهم في تأكيد مثل هذه المزاعم محاولات لا قيمة لها في الموازين العلمية .

وقد تناول الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله - في دراسته القيمة (مدخل إلى القرآن ص ١٦٥) جميع الافتراضات المتعلقة باحتمال وجود مصدر بشري للقرآن ، وناقشها مناقشة علمية وأظهر زيفها وبطلانها ، وانتهى إلى القول بأن : « جميع سبل البحث التي وقعت تحت أيدينا وناقشناها ثبت ضعفها وعدم قدرتها على تقديم أي احتمال لطريق طبيعي أتاح له (أي للنبي عليه الصلاة والسلام) فرصة الاتصال بالحقائق المقدسة . ورغم الجهد الذهني الذي نبذله لتضخيم معلوماته السمعية ومعارف بيئته فإنه يتعذر علينا اعتبارها تفسيراً كافياً لهذا البناء الشامخ من العلوم الواسعة والمفصلة التي يقدمها لنا القرآن الكريم في مجال الدين والتاريخ والأخلاق والقانون والكون . . . إلخ » . فلم يبق إلا أنه وحي الله لنبيه الذي أرسله رحمة للناس أجمعين .

(٣) العدد رقم ٣ لعام ١٨٣١ .

يقدم فقط عرضاً لعلم العقيدة القرآني وليس عرضاً لنسق الإسلام أو نظامه . ومن أجل المقارنة فقط يورد مواضع من السنة ومن غيرها .

وقد قسم ديتنجر التعاليم القرآنية إلى قسمين : عام وخاص ، أو قسم دفاعي تبريري وقسم عقائدي . ويغلب على هذا القسم الأخير أمران : علم العقيدة وأمور الآخرة . وبين القسمين يأتي الحديث عن العالم والوجود الدنيوي وعلم الكونيات والملائكة والإنسان . وليس هنالك في القرآن ذكر لتعاليم الخلاص أو نظرية الخلاص[1] .

وبعد هذه اللمحة يعرض ديتنجر « عقيدة القرآن » . ولكنه لم يقدم في هذا الصدد إلا المقالة الأولى حول « توحيد الله » . وقد بقي العمل غير مكتمل .

فرايتاج :

أما كتاب « المدخل إلى دراسة اللغة العربية » الذي ألفه فرايتاج[2] G. W. Freytag فإنه يشتمل أيضاً على عرض مفصل لدين العرب قبل الإسلام ، كما تناول أيضاً التعاليم المحمدية بناء على ما جاء في القرآن .

جريمه :

لقد تم عرض التعاليم المحمدية في المؤلفات التي أشرنا إليها حتى الآن بدرجة تقل أو تكثر في شكل خليط مختلف الألوان من الآراء المذهبية والأحكام . وفي مقابل ذلك تظهر هذه التعاليم لدى جريمه[3] Grimme بوصفها نسقاً أو نظاماً

(١) من الطبيعي ألا يرد في القرآن الكريم ذكر لما يسمى بعقيدة الخلاص ، لأنها عقيدة مبنية على عقيدة الخطيئة الموروثة . وقد رفض القرآن هذه العقيدة رفضاً قاطعاً وقرر المسئولية الفردية . وفضلاً عن ذلك فإن هذه الخطيئة الموروثة - المزعومة - والتي ترجع إلى آدم عليه السلام قد تاب منها آدم وقبل الله توبته كما جاء في القرآن الكريم . فلا مجال إذن للقول بالخطيئة الموروثة التي تتطلب - في زعمهم - أن يقوم المسيح الإنسان الإله بالتضحية بنفسه ليخلص البشرية من وطأة هذه الخطيئة التي قصمت ظهر البشرية دهورا طويلة .

(٢) فرايتاج (١٧٨٨ - ١٨٦١) مستشرق ألماني . عمل أستاذاً بجامعة بون من عام ١٨١٩ حتى وفاته . وقد صدر كتابه المشار إليه في بون عام ١٨٦١ .

(٣) هوبرت جريمه (١٨٦٤ - ١٩٤٢) مستشرق ألماني . كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة مونستر بألمانيا . وقد صدر كتابه عن « محمد » عام ١٨٩٥ في مونستر .

يقـدم - رغم استناده القوى إلى نسق اليهودية المتأخرة[1] - شيئاً خاصاً متميزاً يكفي لكي يكون سبباً لاحترامنا لوعي النبي وفكره . ولكن مفهوم هذا النسق - في رأي جريمه - قد طوى في وادي النسيان بالتدريج . ولم يتم إعادة بنائه في صفـائـه الأصـلي من جانب علم العقيدة المتأخر الذي أنكر كل صلة للقرآن بالأفكار الدينية السابقة .

ولكن هذا لا يبرهن بشيء على أن هذا النسق لم يكن له وجود أصلاً . وفضلاً عن ذلك فإن القرآن يظهر أيضاً بعض نقاط النسق المحمدي في مراحل تطور مختلفة طبقاً للطابع المختلف للمراحل الرئيسية الثلاثة للإسلام وهي : المرحلة الاعتقـادية السـاذجـة للعصر المبكـر ، والمرحلة التأملية الفلسفية للفترة المكية المتأخرة ، والمرحلة العملية في المدينة[2] .

وقد بذل جريمه جهده لكي يأخذ أيضاً في الاعتبار تلك الانحرافات البطيئة في الأفكار لدى الصراع الذي دار حول هذا النسق . وبعد مقدمة قصيرة حول القرآن يقوم جريمه بعرض « نسق علم العقيدة القرآني » في ثلاثة أقسام رئيسية هي : ١ - علم العقيدة القرآني . ٢ - نظرية الواجبات (أو التكاليف الدينية) . ٣ - نظرية الكمال .

بـاوتس :

وبجانب جريمه يؤخذ في الاعتبار بصفة خاصة كتاب باوتس Pautz « نظرية محمد في الوحي »[3] والكتاب يشتمل على شيء أكثر مما يدل عليه العنوان . فهذا العنوان لا يغطي على الأكثر إلا الفصلين الأولين وهما : « وعي محمد بالنبوة » و « ماهية الوحي » . ولكن بعد ذلك يأتي فصل حول « مضمون عقيدة الوحي »

---

(١) جريمه هنا هو ابن بيئته التي ترفض الإسلام بوصفه ديناً موحي به من عند الله . ومن هنا يأتي الزعم باعتماد النسق الإسلامي على اليهودية المتأخرة .

(٢) هذا التقسيم مبني على أساس الادعاء بأن عقيدة الإسلام جاءت من مصدر بشري . فالفكرة تبدو في المراحل الأولى ساذجة بسيطة ثم تتضح بعد ذلك ويتم إثراؤها بالتأملات الفلسفية . وهذا أمر إن صح في مجال الفكر البشري فلا يصح في مجال الوحي الإلهي . فالادعاء وما بنى عليه أمور تدخل في باب التخمينات والافتراضات التي لا سند لها من العلم ولا من الواقع .

(٣) نشر هذا الكتاب في مدينة ليبتزيج بألمانيا عام ١٨٩٨ .

يشتمل على تصور الألوهية ، والصلة بالوثنية والمسيحية ، والعقائد الأخروية . ثم يعقب ذلك فصل حول « حامل الوحي » يشتمل على النبوة والمعجزة والعقوبات الأرضية (الدنيوية) . وبذلك يكون المؤلف قد قام بعرض المضمون الكلي للقرآن تقريباً باستثناء التعاليم العملية .

ولكن باوتس لم يخصص كتابه لدائرة ضيقة من المستشرقين فحسب ، فقد كان هدفه يتمثل في تأليف كتاب سهل التناول عن القرآن وتعاليمه من وجهة نظر علم العقيدة . وقد بلغ المؤلف هدفه بصفه عامة .

وقد ألحق باوتس بكتابه معجماً يعين - كل من يريد أن يقرأ القرآن في نصه الأصلي ويترجمه ترجمة صحيحة ويفهمه فهماً حقيقياً - على معرفة الأمور الموضوعية واللغوية في القرآن . ويعد الكتاب بحثاً نقدياً عن الإسلام المبني على القرآن .

ويمكن الرجوع في نقد هذا الكتاب إلى ماكتبه عنه جولد تسيهر بالتفصيل في مجلة « أرشيف علم الأديان » (مجلد ٢ لعام ١٨٩٩ ص ١٨٦ - ١٩٥) ، وماكتبه فرانكل Fraenkel في « جريدة الأدب الألماني » لعام ١٨٩٩ ص ٨١٩ - ٨٢١) .

مراجـع أخـري :

وأخيراً يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى الكتب التعليمية الكبيرة في تاريخ الأديان والتي تتضمن في الغالب بجانب الحديث عن حياة محمد الإشارة أيضاً إلى تعاليمه . وهنا نشير بصفة خاصة إلى ماكتبه كل من هوتسما Houtsma في كتاب « دروس في تاريخ الأديان » من سلسلة Chantepie de La Saussaye ، وجولد تسيهر في « حضارة العصر الحاضر » ، وأوريللي Orelli (ص ٧٨) وتيلي - سودربلوم في « موجز في تاريخ الأديان ، ومدخل إلى تاريخ الأديان » ، وكليمن في « أديان الحضارات غير المسيحية في وضعها الراهن » (من سلسلة : الطبيعة وعالم الروح - مجلد ٥٣٤ ، ١٩٢١) .

النقاط الأساسية في التعاليم المحمدية

العقائد الأخروية

بـوكـوك :

إن أول من قدم عرضاً مفصلاً عن العقائد الأخروية في الإسلام كان العالم إدوارد بوكـوك[1] E. Pococke في تعليـقاته الـتي أضـافهـا إلـى كتـابه « بـاب مـوسى Porta Mosis » (١٦٥٥) . وفي عام ١٧٠٥ قام كريستيان راينيتسيوز Reineccius بنشر هذه التعليقات في كتاب مستقل[٢] . ويستغرق الحديث عن العقائد الأخروية لدى المحمديين الفصل السابع من هذا الكتاب في ٧٨ صفحة .

وبعـد ذلك بفترة ظهرت الترجمة الإنجليزية للقرآن عام ١٧٣٤ والتي قام بإنجازها جورج سيل (ص ٢١٦) مع مقدمة تمهيدية مفصلة عرض فيها العقائد الأخروية المحمدية في ثلاث وثلاثين صفحة .

أحـوال القيامـة والـدرة الفاخـرة :

وبالإضافة إلى القرآن تم نشر مرجعين عربيين هامين حول موضوعنا . فأما أولهما فهو كتاب « أحوال القيامة » لمؤلف مجهول . ويقدم لنا هذا الكتاب عرضاً مفصـلاً عن تصـورات المسلمـين لأحوال الآخرة ولبعض الموضوعات المتصلة

---

(١) إدوارد بوكوك (١٦٠٤ - ١٦٩١) مستشرق انجليزي وعالم بالكتاب المقدس . عمل قسيساً للطائفة الانجليزية في مدينة حلب بسوريا من عام ١٦٣٠ حتى عام ١٦٣٥ . عين أول أستاذ للغة العربية بجامعة أكسفورد عام ١٦٣٦ عندما أنشيء بها أول كرسي للغة العربية . اهتم بوكوك بصفة خاصة بالتبشير بالمسيحية في بلاد المسلمين . وتتسم تعليقاته الخاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم بالتحيز والتعصب البغيض . (راجع : موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٩٠ وما بعدها - بيروت ١٩٨٤) .

(٢) كانت هذه التعليقـات في الأصـل ضمن تعليقـات بوكـوك على شرح موسى بن ميمون على « المشنا » . وقد نشر هذا الشرح في أكسفورد عام ١٦٥٥ بعنوان : « باب موسى أو فصول من شرح موسى بن ميمون على المشنا » .

بذلك . والكتاب وإن كان (من حيث تأليفه) يعود إلى زمن متأخر نسبياً إلا أن المضمون وثيق النسب بصفة عامة بالعصور الأولى للإسلام . وقد أضاف مترجم الكتاب م . فولف[1] Wolff إلى ترجمته كثيراً من الإشارات إلى التصورات اليهودية التي انبثقت عنها التصورات الإسلامية ، أو تلك التي تشكل نوعاً من التقابل معها .

أما المرجع الثاني حول أمور الآخرة فهو كتاب « الدرة الفاخرة » من تأليف الفيلسوف والعالم الديني الشهير الغزالي (ص ٢٧٥) . وقد قام لوسين جوتييه بتحقيقه ونشره – اعتماداً على بعض المخطوطات وعلى طبعة حجرية شرقية – مع ترجمة فرنسية ممتازة[2] .

وعلى الرغم من أن الكتابين ينحدر أولهما من عصر متأخر ولمؤلف مجهول[3] ، وينتسب ثانيهما إلى فيلسوف الإسلام العظيم فإنهما متشابهان جداً من حيث المضمون . ويهتم هذا الكتاب (الثاني) بصفة خاصة بوصف ما تلقاه النفوس ابتداء من لحظة الموت حتى صدور القرار النهائي الذي يحدد مصيرها . ولكنه يعفينا على الأقل من الإفاضة في تصوير نعيم الجنة وعذاب النار . وهناك ألوان من العناصر الأجنبية تختلط بتصوير الغزالي ، وبخاصة العناصر الفارسية

---

(١) فولف : مستشرق ألماني توفي عام ١٩٠٤ . وقد نشر النص العربي لكتاب أحوال القيامة المشار إليه مع ترجمة ألمانية عام ١٨٧٢ في ليبتزيج اعتماداً على مخطوطين في ليبتزيج ودرسدن – كما يشير إلى ذلك بفانموللر ص ١٩٨ .

(٢) نشر هذا الكتاب – كما أشار بفانموللر في قائمة المراجع ص ١٩٨ – عام ١٨٧٨ . ويتضح من ذلك أن لوسين جوتييه غير ليون جوتييه الذي عاش في نهاية القرن الماضي والثلث الأول من القرن الحالي والذي يقول عنه نجيب العقيقي (المستشرقون جـ ١ ص ٢٨٤ ط ٤) إنه قد قام بنشر الدرة الفاخرة للغزالي عام ١٩٢٥ في ليبتزيج بعد أن قابلها على عدة مخطوطات في ليبتزيج وبرلين وباريس وأكسفورد ، وألحق بها ترجمة فرنسية وعلق عليها تعليقات ضافية . ويبدو أن الأمر قد اختلط على نجيب العقيقي ، فإن بفانموللر يشير إلى أن لوسين جوتييه هو الذي نشر النص مع الترجمة الفرنسية عام ١٨٧٨ . وهو الذي قابل النص على مخطوطات في ليبتزيج وبرلين وباريس وأكسفورد . ولم ينسب د . عبد الرحمن بدوي في موسوعته عن المستشرقين ص ١١٨ إلى ليون جوتييه تحقيق ونشر وترجمة الدرة الفاخرة للغزالي كما فعل العقيقي .

(٣) ينسب نجيب العقيقي كتاب « أحوال القيامة » إلى عبد الرحيم بن أحمد القاضي (راجع : المستشرقون جـ ٢ ص ٤١٧ طـ ٤) .

واليهـودية . وتجـد القصص الخيالية ذات الاتجـاه الأخـلاقي وكذلك قصص الأرواح طريقها إلى نسيج الغزالي (لأمور الآخرة) بوصفها حقائق .

ولكن هذه المؤلفات جميعها يكتنفها القصور : فقد أخطأ بوكوك حين مزج بين تعاليم القرآن وتعاليم السنة وآراء علماء العقيدة ، الأمر الذي لا يعبر عن التطور الذي لقيته العقائد الأخروية في الإسلام على مدى القرون[1] .

وأما سيل فإنه بصفة عامة لم يكن مستقلاً ، بل اكتفى بالنقل عن بوكوك . وأما فولف وجوتييه فإن كلا منهما قد اقتصر على نشر كتاب عن الآخرة ولم يأخذا في الاعتبار المؤلفات الأخرى لذات المضمون إلا في الهوامش .

رولنـج :

لقـد اهتم رولنـج[2] Ruehling - على العكس من هذه المؤلفـات - بعرض تطور العقائد الأخروية وذلك في ثلاثة أقسام هي :

تعاليم القرآن - تعاليم السنة وعلماء العقيدة - التكوين الفلسفي الدفاعي .

ولم يتناول رولنج مصادر العقائد الأخروية المحمدية التي يجب البحث عنها في اليهودية والمسيحية والزرادشتية ، وربما أيضاً في الوثنية العربية القديمة[3] - لم يتنـاولهـا إلا حينـما يكـون في ذلك خدمة لفهم التصورات المحمدية فهما أكثر

---

(١) العقائد الأخروية الإسلامية مقررة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة . ولم يودع محمد صلى الله عليه وسلم دنيانا إلا بعـد أن اكتمـل الـدين في كل عقائده - كما جاء في القرآن الكريم - : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » (المائدة ٣) . وعقائد الإسلام من الثوابت الأصول التي لا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل . فلا مجال إذن للحديث عن تطور في مجال العقائد الأخروية .

(٢) رولنج : مستشرق ألماني . وقد بحث موضوع العقائد الأخروية في الإسلام في رسالته للدكتوراه التي قدمها إلى جامعة ليبتزيج عام ١٨٩٥ .

(٣) لا يمل المستشرقون من التأكيد على اعتماد الإسلام على ما سبقه من ديانات سماوية وغير سماوية. وبذلك يصورون الإسلام على أنه مجرد تلفيق من عناصر تلك الديانات . وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذه الدعاوي التي تعد لدى المستشرقين من المسلمات الثوابت ليس لها أي سند من العلم ولا من الواقع ، وإنما هي مجرد تخمينات وظنون يمليها الهوى والغرض ولا تغني من الحق شيئاً .

وضوحاً . وررولنج لم يكن يريد أن يقدم عرضاً وافياً للعقائد الأخروية المحمدية ، بل كان يريد فقط أن يسهم بنصيب في هذا الصـدد . ونـظراً إلى أنه لم يتتبع الأسباب والأسس التاريخية للعقائد الأخروية فإنه لم ينجح أيضاً في تقديم صورة واضحة لتطورها .

ليسينسكي :

وبـالإضـافة إلى ذلك قام ليسينسكي[1] Leszynsky بتحقيق وترجمة كتاب الـزهـد لأسـد بن موسى (١٣٢ - ٢١٢هـ) . وهو كتاب قديم على ما يبدو ويتخذ موقفاً وسطاً بين القرآن والكتابين المتأخرين عنه زمنياً واللذين نشرهما كل من جوتييه وفولف . وقد كان غرض ناشر الكتاب ومحققه بصفة أساسية - كما يؤخذ أيضاً من العنوان الفرعي للكتاب - هو إثبات التماثل بين التعاليم المحمدية لأمور الآخرة والتعاليم اليهودية والمسيحية .

وفي شرح مفصل للترجمة - وإن كانت حرة إلى حد ما - جمع المحقق الكثير من الأمور المفيدة من المراجع اليهودية والمسيحية القديمة ، وبصفة خاصة من الكتب التراثية المشكوك في صحة نسبتها ، ومن سفر الرؤيا ليوحنا ، وكذلك من التراث الزرادشتي ، وتناول ذلك كله بتدبر وتبصر .

كازانـوفا :

أما كازانوفا[2] Casanova فإنه قد حاول أن يؤسس رأياً جديداً تماماً حول موقف محمد من العقائد الأخروية . وبناء على هذا الرأي يشتمل القرآن على ذات

---

(١) ليسينسكي : مستشرق ألماني . وقد بحث موضوع العقائد الأخروية في الإسلام في رسالته للدكتوراه التي قدمها إلى جامعة هيدلبرج عام ١٩٠٩ بعنوان : « الآثار المحمدية حول أمور الآخرة ، دراسة مقارنة بين العقائد الأخروية في اليهودية والمسيحية والإسلام » .

(٢) كازانوفا : مستشرق فرنسي انتدبته الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ أستاذاً لفقه اللغة العربية . وقد وجه عنايته إلى مصر الإسلامية . اشترك في تحقيق وترجمة كتاب الخطط للمقريزي . وقد نشر بحثه عن « محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية » عام ١٩١١ في باريس .

الأفكـار الأخروية التي يشتمل عليها العهد الجديد . ويميز كازانوفا بين ثلاثة مراحـل في موقف محمد من العقائد الأخروية . ففي المرحلة الأولى كان محمد يتوقع نهاية مباشرة وشيكة الحدوث للعالم ، أما في المرحلة الثانية فقد كان يتريث ويبين أنه لم يعد يعلم ما إذا كانت الساعة قريبة أم بعيدة ؛ أما في المرحلة الأخيرة فإنـه - في غمرة انهماكه في وظائفه الجديدة بوصفه قائداً للجيش ومشرعاً - قد أسقط هذه القضية من حسابه ، وكرس جهوده لضرورات الساعة الراهنة [١] . وهنا يعود كازانوفا مرة أخرى إلى دعوى اشبرنجر حول محمد « المسيحي » .

ولكن هذه الدعاوى صادفت كثيراً من الاعتراضات ، وأثارت بصفة خاصة معارضة قوية من جانب ك . هـ بيكر Becker الذي ذهب إلى القول بأن منهج كازانوفا يقلب مباشرة رأساً على عقب كل ما بناه جولد تسيهر وسنوك هورجرونيه بجهد جهيد . وعلى أنقاض اشبرنجر يبني الحس النظري للمؤلف صرحاً من الدعاوي التي لا تستطيع أن تثبت أمام الحس الواقعي للنقد التاريخي السليم .

صحيح أن محمداً في مرحلته المكية الأولى قد أعلن عن قرب وقوع ساعة القضاء الإلهية - كما أثبت ذلك سنوك هورجرونيه في نقده المطول لكتاب جريمه عن حياة محمد (ص ١٨٧) - . ولكن النتائج التي استخلصها كازانوافا من ذلك تعد غير مقبولة . فهناك فرق بين التعاليم الأصلية لمحمد وتلك التعاليم التي أتي بها المسيح . فإنه إذا كان محمد قد أعلن أيضاً عن نهاية العالم فإنه لم يدع مطلقاً إلى « مملكة الله » .

وأخيراً فإنه يتحتم على كازانوفا - لكي يستكمل مقارنته بين محمد والمسيح - أن يشير إلى النظريات المتأخرة حول المهدي ، وينتهي إلى النتيجة المستحيلة التي تتمثل في أن المذهب الشيعي الساذج يعد المذهب الأصلي الإسلامي الحق .

وفي كتيبين آخرين يريد المؤلف تقديم الأداة النقدية التي تحاول أن تجعل

---

(١) لقـد رفض عدد من المستشرقين المعدودين دعاوي كازانوفا الواهية - كما يتضح ذلك مما يلي مباشرة . وهذا يغنينا عن التعليق عليها .

حجب هذه التعاليم القديمة للإسلام وكبت النصوص القرآنية المتوقعة المتصلة بذلك عن طريق أبي بكر - أمراً واضحاً ومفهوماً[١] .

ويقدم لنا جريمه أيضاً عرضاً مفصلاً لأمور الآخرة في كتابه « نسق علم العقيدة القرآني » والذي يختمه بـ « نظرية الكمال » . وكذلك يتناول باوتس أمور الآخرة في الفصل التاسع من كتابه « نظرية محمد في الوحي » .

الكوميديا الالهية لدانتي :

وحول تأثير العقائد الأخروية الإسلامية على الكوميديا الإلهية لدانتي[٢] أصدر ميجل أسين بلاثيوس[٣] M. A. Palacios كتاباً رائعاً حاول فيه أن يثبت أن خطة هذا العمل الشعري معتمدة في خطوط حاسمة على التصوف المحمدي في العصر الوسيط . فالتطابق بين الرحلات الأخروية المحمدية وبين الكوميديا الإلهية لا يتضح فقط في عدد كبير من الخطوط الجزئية ، وإنما يتضح أيضاً بصفة خاصة في تشابه الخطوط الأصلية الأساسية للبناء .

وقد أكد عدد من العلماء المعدودين مثل سنوك هورجرونيه وإيتالو بتزي[٤] Italo Pizzi صدق الأسانيد العربية لهذا الكتاب (الذي ألفه بلاثيوس) في حين أن أحد

---

(١) من الغريب أن تستقدم الجامعة المصرية هذا المستشرق للتدريس بها عام ١٩٢٥ مع أن كتابه الذي ينطوي على هذا اللغو الباطل قد نشر في باريس عام ١٩١١ .

(٢) دانتي Dante (١٢٦٥ - ١٣٢١) أشهر الأدباء الايطاليين ومؤلف الكوميديا الإلهية .

(٣) أسين بلاثيوس (١٨٧١ - ١٩٤٤) : مستشرق أسباني ومن أعلام المستشرقين المعدودين . درس اللاهوت المسيحي وعمل قسيسا عام ١٨٩٥ . وفي عام ١٨٩٦ حصل على الدكتوراه من جامعة مدريد ببحث عن الغزالي . عمل أستاذاً للغة العربية في جامعة مدريد . اهتم بالفلسفة الإسلامية وتأثيراتها على الفكر الأوربي في العصر الوسيط . وقد نشر عام ١٩١٩ كتاباً كبيراً يزيد على أربعمائة صفحة بعنوان (الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية » . وكان لهذا الكتاب دوى كبير في الأوساط العلمية في العالم كله نظراً لما أثاره الكتاب من تأثر دانتي في رائعته « الكوميديا الإلهية » بالتصورات الإسلامية الأخروية . ولبلاثيوس دراسات واسعة عن ابن حزم وابن عربي والغزالي . (موسوعة المستشرقين ٧٥ وما بعدها) .

(٤) إيتالو بتزي (١٨٤٩ - ١٩٢٠) مستشرق إيطالي . كان أستاذاً للدراسات الشرقية . ومعظم مؤلفاته في الدراسات الفارسية . وقد نشر عام ١٩١٩ بحثاً في : « تاريخ الأديان » بعنوان «نظرية أسين بلاثيوس في الأصل الإسلامي للكوميديا الإلهية » .

أساتذة فلورنسا في علم اللغات الرومانية المقارنة قد شكك وارتاب في النتائج التي توصل إليها أسين على الرغم من اعتراف (هذا الأستاذ) التام بالتطابق العجيب إلى أقصى حد بين الكوميديا الإلهية والأساطير العربية . (راجع في ذلك : ف . بابنجر Babinger في مجلة الإسلام Der Islam - العدد ١٢ لعام ١٩٢١ ص ١٣٨ وما بعدها ؛ وكذلك جاكوب أوفرمانس Overmans في : أصوات العصر Stimmen der Zeit مجلد ٩٩ ، ١٩٢٠ ص ١٨٨ - ١٩٢) .

العناصر الأساسية للعقائد الأخروية :

وتتمثل العناصر الأساسية للعقائد الأخروية القرآنية في البعث ويوم الحساب والجنة والنار . ومن بين المراجع الوفيرة في هذا الصدد نشير فقط إلى البحوث الجديدة التالية :

دليل البعث :

لقد تناول كل من إدوارد ليهمان [١] E. Lehmann وبيدرسن Johs. Pedersen « دليل البعث في القرآن » وأرجعاه إلى مصادره . فقد حاول محمد أن يوضح لكفار مكة دعواه في البعث بأن بين لهم إمكانية نشوء الأحياء من الأموات استناداً إلى أقيسة مختلفة من الطبيعة . وبالإضافة إلى ذلك يحيل محمد باهتمام بالغ إلى النشأة العجيبة للإنسان . ولكن هاتين الحجتين لا تمثلان إبداعاً أصيلاً لمحمد ، وإنما هما تراث تقليدي ، وبصفة خاصة تراث يهودي مسيحي كما قد ثبت ذلك بالتفصيل [٢] . ولكن العقائد الأخروية اليهودية قد تأثرت بدورها تأثراً كبيراً بنظيرتها الفارسية .

---

(١) ليهمان (١٨٦٢ - ١٩٣٠) مستشرق ألماني . اشترك مع بيدرسن في بحث حول : « دليل البعث في القرآن » نشر في مجلة « الإسلام » الألمانية - العدد ٥ لعام ١٩١٤ ص ٥٤ - ٦١ .

(٢) إذا كان هناك وجه شبه بين العقائد الإسلامية والعقائد المسيحية واليهودية فليس معنى ذلك تأثر الإسلام باليهودية والمسيحية . وإنما معناه أن الإسلام قد استقى من نفس النبع الذي استقى منه هذان الدينان . ولكن المستشرقين مولعون بنظرية التأثير والتأثر . وهذا المنهج في دراسة الأديان السماوية منهج خاطيء يتعامل مع هذه الأديان كما لو كانت مجرد تيارات فكرية بشرية تستقي من مصادر بشرية .

الجنـــة :

تنـاول كارا دي فو[1] الجنـة بالبحث في مقالته عن الجنة في دائرة المعارف الإسلامية . وفي البداية يصف تصورات محمد الحسية عن الجنة ثم يبين كيف تصور المرء الجنة في زمن متأخر في صورة هرم أو على هيئة شكل مخروطي مكون من ثمانية طوابق[2] . وفي نهاية مقـــالتـه يعـرض كارادي فو رأي علم العقيدة الإسلامي الأصولي في الجنة .

النـــار :

أما النار أو « جهنم في الإسلام » فقد كانت موضوعاً لرسالة الدكتوراة التي قدمها يوناس ماير[3] Jonas Meyer وقد اعتمد فيها بصفة رئيسية على مخطوط عربي بمكتبة برلين يشتمل على وصف تفصيلي لجهنم يذهب إلى حد الجزئيات . وقد اجتهد مؤلفه اجتهاداً بالغاً في جمع مادته من كل مكان .

وعـلى أســاس من هذا الكتـاب يريد ماير أن يقدم معلومات وافية بقدر الإمكان عن التصورات (الإسلامية) لجهنم . ومن أجل هذا الغرض يقوم ماير في القسم الأول - الذي يعد بمثابة البناء التحتي الضروري لعرض الموضوع - بجمع أقوال القرآن حول جهنم . وفي القسم الثاني - وهو القسم الرئيسي في الكتاب ويشتمل على واحد وعشرين فصلاً - يصف التصورات المتعلقة بجهنم كما وردت في الحديث وعلم العقيدة .

---

(١) البـــارون كارادي فو (١٨٦٧ - ١٩٥٣) مستشرق فرنسي . عني بالـــرياضيات والفلسفـة والتاريخ أكثر من غيرها ، وله في ذلك دراسات عديدة . ومن بين مؤلفاته المعروفة والتي ترجم بعضهـا إلى العربية : الإسلام والعبقرية السامية والعبقرية الآرية ، والغزالي ، وابن سينا ، وحكمة الإشراق ، ومفكر الإسلام (في خمسة أجزاء) .

(٢) هذه التصورات - إن كانت قد وجدت فعلاً - فإن الإسلام ليس مسئولا عنها . وقد اعترف كارا دي فو بأنها تصورات جاءت في زمن متأخر ، وهذا يعني أنها غريبة ودخيلة على الإسلام .

(٣) قدمت هذه الرسالة إلى جامعة بازل بسويسرا عام ١٩٠١ .

التصور الاسلامي للألوهية

بجانب التعاليم المتعلقة بالأمور الأخروية نجد أن التعاليم المتعلقة بالله ووحدته تلعب منذ البداية دوراً رئيسياً في دعوة محمد .

ماكدونالد :

وهنا نشير في المقام الأول إلى المقالة الرائعة عن « الله » التي كتبها د . ب . ماكدونالد Macdonald [1] في « دائرة المعارف الإسلامية » وفيها يتناول النقاط التالية :

(ا) مفهوم الألوهية قبل الإسلام .

(ب) التعاليم المحمدية المتعلقة بالله .

(جـ) النظرية الخاصة بشخص الإله حسب تطورها في الإسلام .

ويختتم ماكدونالد مقالته بذكر قائمة تفصيلية بالمراجع .

وقد تناول ماكدونالد الموضوع ذاته مرة أخرى بإيجاز في « دائرة معارف الدين والأخلاق » .

(راجع أيضاً في الموسوعة المذكورة مقالة « الله في تصور المسلمين » التي كتبها إدوارد سل Sell)[2] .

وبطبيعة الحال يخصص أيضاً كل من جريمه وباوتس في كتابيهما - اللذين

---

(١) دونكان بلاك ماكدونالد (١٨٦٣ - ١٩٤٣) مستشرق أمريكي . كان له نشاط تبشيري ملحوظ . ومن أهم مؤلفاته : تطور علم الكلام والفقه في الإسلام ، والموقف الديني والحياة الدينية في الإسلام ، وحياة الغزالي ، والتدين الانفعالي في الإسلام بحسب تأثره بالسماع والغناء . (موسوعة المستشرقين ص ٣٧٢ وما بعدها) .

(٢) إدوارد سل : مستشرق انجليزي . تولى الإشراف على إحدى المدارس الإسلامية في مدراس بالهند من عام ١٨٨٠ حتى عام ١٩٠٥ . له بحوث عن الإسلام ، والتطور التاريخي للقرآن ، والإسلام في أفريقيا .

أشرنا إليهما مراراً حول علم العقيدة القرآني - عرضاً تفصيلياً لتصور محمد للألوهية .

ديبور:

ويقدم لنا ديبور[1] De Boer عرضاً مهما حول « تطور تصور الألوهية في الإسلام » . ويرى ديبور أنه صحيح أن العرب قبل محمد كانوا يعرفون الله ، ولكنه كان بالنسبة لهم ليس سوى إله من بين آلهة كثيرة وإلهات كثيرات . أما محمد فقد امتلأ عقله به تماماً ، وأخيراً شعر بأنه قد ندب ليكون نبياً وأن عليه أن يعلن أن الله هو الإله الوحيد الذي اقتربت ساعة حسابه للإنسانية المذنبة . وتتلخص ماهيته في صفتين : القدرة والحكمة ، ولكن تصور محمد للألوهية كان من حيث التفاصيل من نوع إنساني ساذج[2] . ويصور ديبور - فضلاً عن ذلك - تطور تصور الألوهية من محمد حتى متصوفة الإسلام .

أما جولد تسيهر فإنه قد عرض في مقالة هامة النتائج العملية لمذهب التوحيد الصارم بالنسبة للحياة الدينية للمسلمين .

مصدر التوحيد :

هناك دعاوي مختلفة حول مصدر النزعة التوحيدية الإسلامية ، وبصفة خاصة دعاوي كل من فون كريمر وماكدونالد وفلهاوزن .

---

(١) ديبور (١٨٦٦ - ١٩٤٢) مستشرق هولندي ، كان أستاذاً في جامعة أمستردام . وله دراسات عديدة في الفلسفة الإسلامية عن الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد . وقد ترجم الدكتور أبو ريده إلى العربية كتاب ديبور « تاريخ الفلسفة في الإسلام » .

(٢) لم يكن هناك تصور خاص لمحمد صلى الله عليه وسلم عن الألوهية ، وإنما الأمر كله في أصله وتفاصيله يدور حول وحي تلقاه من ربه ليبلغه إلى الناس . وقد حفظ هذا الوحي في القرآن الكريم ، ومنه يستقي المسلمون تصورهم للألوهية . ومادام المستشرقون لا يريدون أن يدركوا ذلك فسيظلون يدورون في حلقة مفرغة من الظنون والأوهام . وكأني بالقرآن الكريم يقول لهم : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

وقد قام بروكلمان[1] بنقد هذه الدعاوي نقداً دقيقاً ، ثم وصف مكانة الله في عقيدة العرب القدماء وصفاً تفصيلياً . وقد انتهى من ذلك إلى أن عقيدة الألوهية (في الإسلام) لا يمكن تفسيرها بأنها مستعارة من دين من أديان الوحي (السابقة) أو من نزعة الاعتقاد في القوى الروحية في الطبيعة Animismus . ويعزو بروكلمان عقيدة الألوهية الإسلامية إلى ذلك النمط الذي بينه بصفة خاصة كل من ف . شميت W. Schmidt وسودربلوم وهو « نمط الإله الأصلي » .

ولكن النزعة التوحيدية الصارمة في الإسلام لا تتفق مع التصورات السامية بل تتفق مع التصورات المشتركة في كل الأديان لعالم الروح وللكائنات الوسيطة بين الله والناس . فالقرآن يعرف أيضاً عالماً منتشراً ومتنوعاً إلى حد ما من الملائكة والأرواح السماوية .

نيكرينس :

لقد اهتم نيكرينس Niekrens في رسالته للدكتوراه حول « التصور القرآني للملائكة والأرواح »[2] بهذ التصورات وتقديمها في صورة متكاملة . ويحذو نيكرينس في تأريخه لسور القرآن حذو جريمه (في كتابه عن سيرة حياة محمد - مجلد ٢ ص ١٨ - ٢٩) . ويستخدم نيكرينس القرآن مصدراً وحيداً لبحثه . ولكنه بين حين وآخر يضيف أيضاً تعليقات المفسرين وملاحظاتهم .

---

(١) كارل برو كلمان (١٨٦٨ - ١٩٥٦) مستشرق ألماني مشهور . عمل أستاذاً في العديد من الجامعات الألمانية . وكان غزير الإنتاج في التاريخ الإسلامي والأدب العربي وفقة اللغة . وقد ترجم كتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) إلى العربية ، كما ترجم إلى العربية أيضاً كتابه الضخم : تاريخ الأدب العربي . وقد صدرت منه بعض الأجزاء ثم حالت عقبات كثيرة دون إتمام الترجمة . ولكن أمكن التغلب أخيراً على هذه العقبات وتمت ترجمة الكتاب كله وقد اشتركنا في هذه الترجمة ، والكتاب الآن كله معد للطبع . ويعتمد بفانموللر في عرضه لوجهة نظر بروكلمان هنا على بحث لبروكلمان بعنوان : « الله والأوثان - مصدر النزعة التوحيدية الإسلامية » المنشور في مجلة « أرشيف علم الأديان » - العدد ٢١ لعام ١٩٢٢ ص ٩٩ - ١٢١ .

(٢) نيكرينس : مستشرق ألماني . وقد قدم رسالته للدكتوراه المشار إليها إلى جامعة روستوك Ros-tock بألمانيا عام ١٩٠٦ .

وفيما يتصل بما هو مشهور حول اعتماد الإسلام على اليهودية ، وبصفة خاصة في نظرية الأرواح أيضاً ، يريد الكتاب أن يقدم أيضاً بعض المقارنات التاريخية الدينية من نظرية الأرواح اليهودية ، ولكي دون أن يدعى الاستيعاب بأي شكل من الأشكال .

ويتناول المؤلف بالبحث في فصول ثلاثة الموضوعات التالية : ١ - تصورات القرآن عن الملائكة . ٢ - تصورات القرآن عن الجن . ٣ - تصورات القرآن عن الشيطان والشياطين .

أيكمان :

لقد قام أيكمان Eickmann بإعداد دراسة تعد أدخل في باب الدراسة اللاهوتية المتعلقة بالكتاب المقدس عنها في باب الدراسة الدينية التاريخية[1] . وقد تناول في هذه الدراسة في مقدمة مختصرة أهمية شخص محمد وماهية دينه .

أما الفصل الأول فقد تحدث فيه المؤلف عن الملائكة والجن بصفة عامة ، وتناول في الفصل الثاني موضوع الملائكة وصلتها بالله . أما الفصل الثالث فقد بحث فيه صلة الملائكة بالناس .

ولكن المؤلف ليست لديه إحاطه كافية بالمراجع وبالمستوى المعاصر للمشكلات . ولكن الشيء المفيد (في هذا الكتاب) هو جمع المادة وما أتى به من مقارنات من المراجع القليمة اليهودية والمسيحية .

يراجع أيضاً مقالة « الجن » التي كتبها د . ب . ماكدونالد ، ومقالة

---

(١) نشرت هذه الدراسة عام ١٩٠٨ في نيويورك وليبتزيج بعنوان : « الملائكة والجن في القرآن مع المقارنة بتعاليم الكتاب المقدس حول الملائكة والأرواح » .

« إبليس » التي كتبها أ . ج . فينسنك[1] في دائرة المعارف الإسلامية ، وكذلك مقالة « الجن والأرواح لدى المسلمين » التي كتبها جوديفروا - ديمومبين[2] Gaudefroy - Demombynes في « دائرة معارف الدين والأخلاق » .

نظـرية الوحي

إن الاتصال بين الله والناس يمكن أن يحدث إما عن طريق وحي باطني وإلهام وإما عن طريق رسول أو نبي يرسله الله ويأذن له في أن يعلن للناس ما تقـرره إرادة الله[3] . وهـذه الحـالـة تأتي عندما يريد الله أن يتصل بشعب من الشعـوب . ومن بين الأنبياء الـذين علا شأنهم بصفة خاصة كل من إبراهيم وموسى وداود وسليمان والمسيح . ولكن محمداً جاء ليكون « خاتم النبين » فالله لن يرسل بعده أنبياء آخرين . فدين محمد إذن هو الدين الحق على الإطلاق .

وهذه الأفكار جميعها يقدمها باوتس في عرض رائع في كتابه الذي أشرنا إليه مراراً وهو « نظرية محمد في الوحي » . وقد تناول باوتس بالبحث في هذا الكتاب وعي محمد بالنبوة ، وكذلك طبيعة الوحي ، ومضمون عقيدة الوحي ، وحامل الوحي . وتم عرض ذلك كله بصورة وافية وقريبة إلى الأذهان بصفة عامة .

---

(١) فينسنك (١٨٨٢ - ١٩٣٩) مستشرق هولندي مشهور . حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها « محمـد واليهود في المدينة » . أعلن عام ١٩١٦ في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية (جـ ٧٠ ص ٥٧٠) عن عزمه على وضع معجم مفهرس للأحاديث الواردة في الكتب الستة بالإضـافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل . وقد استعان بثمانية وثلاثين باحثاً من مختلف البلدان للقيام بهذا العمل الذي صدر فيما بعد في سبعة مجلدات كبيرة ويعتمد عليه الباحثون اليوم في جامعات العالم الإسلامي . وبجانب هذا العمل أصدر كتاباً سهل التناول في «الأحايث النبوية مرتبة ترتيباً هجائياً » عام ١٩٢٧ . وقد نقله إلى الحروف العربية فؤاد عبد الباقي تحت عنوان « مفتاح كنوز السنة » عام ١٩٣٤ .

ولفينسنـك بحـوث أخـرى عن العقيدة الإسـلامية : نشـأتهـا وتـطورهـا (بالإنجليزية) ، وفكر الغزالي (بالفرنسية) وغيرها من بحوث ومقالات متنوعة (راجع موسوعة المستشرقين ص ٢٨٩ وما بعدها) .

(٢) جوديفروا - ديمومبين (١٨٦٢ - ١٩٥٧) مستشرق فرنسي . كان أستاذاً للعربية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس . له دراسات حول الإسلام والتاريخ الإسلامي .

(٣) يقول القرآن الكريم في هذا الصدد : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم » (الشوري ٥١) .

القرآن الكريم والحديث

١ - القــرآن

شـوفـان :

في بداية بحثه يعمد شوفان [١] Chauvin في المقدمة إلى إحصاء أهم المداخل والبحـوث حول القـرآن ، ويصور بإيجاز تصورات المحمديين والمسيحيين عن القرآن ، ويشير إلى بعض المؤلفات التي أطلق عليها خطأ اسم القرآن .

أمـا القسم الثاني الرئيسي في كتاب شوفان فإنه يتناول فيه طبعات النص القـرآني (النصـوص الكاملة أو الاقتباسات) ، والسور التي لا يشتمل عليها القـرآن الذي بين أيدينا ، والمخطوطات والمصورات والطبعات الشرقية ، وفي القسم الثـالث يتنـاول ترجمات القرآن في أهم اللغات الأوربية والشرقية ، أما القسم الـرابع فإنه يتناول فيه أهم كتب التفسير والمعاجم المفهرسة والقواميس (المتعلقة بالقرآن) .

ديفـيك :

يلقي ديفيك [٢] Devic في الفصل الثاني من بحثه حول ترجمة الدومينيكان للقرآن نظرة شاملة بالغة الثراء عن تاريخ الترجمات والشروح الأوربية للقرآن ، ويذكر بالتقدير في المقام الأول على وجه التفصيل أول ترجمة للقرآن إلى اللاتينية ،

---

(١) فكتور شوفان (١٨٤٤ - ١٩١٣) مستشرق بلجيكي . وضع (فهرس المصنفات العربية أو المصنفات المتصلة بالعرب) في اثنى عشر جزءاً أصدر منها أحد عشر جزءاً من عام ١٨٩٢ حتى عام ١٩٠٩ ونشر بولن الجزء الثاني عشر عام ١٩٢٢ . ويشتمل الجزء التاسع من هذا الفهرس على الكتابات التي صدرت عن محمد صلى الله عليه وسلم في أوربا حتى عام ١٩٠٨

(راجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٨٠ ومابعدها) .

(٢) مارسيل ديفيك (ت ١٨٨٦) : مستشرق فرنسي من أساتذة جامعة مونبلييه . يعد أول من عثر على ترجمة دومينيكوس للقرآن ، وقد نشر عام ١٨٨٣ بحثاً عن هذه الترجمة بعنوان « ترجمة غير منشورة للقرآن » في المجلة الآسيوية : مجلد ٨ مسلسل ١ ص ٣٤٣ - ٤٠٦ . وهو البحث الذي يعتمد عليه بفانمولر هنا .

تلك الترجمة التي قام بإنجازها عام ١١٤٣ كل من روبرتوس ريتيننزيز Robertus Retenensis وهرمانوس دالماتا Hermanus Dalmata بناء على تكليف من بطرس الموقر (رئيس رهبان) كلوني .

وبعد ذلك بأربعمائه عام كاملة قام تيودور ببلياندر[1] Bibliander خليفة تسفنجلي Zwingli بإعادة طبع هذه الترجمة ، وذلك بإيعاز من لوثر وغيره (ص ١٤٧) .

وبعد ذلك يلقي ديفيك نظرة عامة على المؤلفات الجدلية المضادة للإسلام من القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر . وهنا نصادف أسماء أهم المحاربين للقرآن وللإسلام : بطرس الموقر ، ورايموند مارتيني الدومينيكاني ، وريكولدوس دامونت كروس Ricoldus da Monte Croce صاحب كتاب إنكار أو رفض القرآن Improbatio Alcorani الذي ترجمه مارتن لوثر إلى اللغة الألمانية (ص ١٤٣) ؛ وبالإضافة إلى هؤلاء بيدرو باسكوال الفالنسي Pedro Pascual

---

(١) ببلياندر (١٥٠٤ - ١٥٦٤) عالم سويسري اهتم باللغات السامية بصفة عامة والعبرية بصفة خاصة . عين أستاذاً للعهد القديم عام ١٥٣١ خلفاً لتسفنجلي - وكان هذا مصلحاً دينياً سويسرياً معروفاً . وقد اعتمد ببلياندر في نشره للترجمة اللاتينية للقرآن على عدة مخطوطات . ولكن معرفته بالعربية كانت ضئيلة - كما يقول عنه فوك - . وكان ببلياندر من أشد المعارضين لمذهب القضاء والقدر الذي قال به كلفان مما أدى إلى عزله عن التدريس عام ١٥٦٠ .

وقد أورد ببلياندر قبل الترجمة ثلاثة رسائل (ص ١-٨) أولها الرسالة التي بعث بها بطرس الموقر إلى القديس برنار ، والثانية : رد موجز على المبتدعة وعلى فرقة المسلمين أو بني إسماعيل ، والثالثة مقدمة روبرت كيتنت لترجمة القرآن على شكل رسالة بعث بها إلى بطرس الموقر .

وكذلك أورد ببلياندر بعد الترجمة ثلاثة رسائل أخرى هي :

(أ) عقيدة محمد (ص ١٨٩ - ٢٠٠) وهي من ترجمة هرمان الدالماشي .

(ب) ميلاد محمد ونشأته (٢٠١ - ٢١٢) وهي من ترجمة هرمان الدالماشي أيضاً .

(جـ) أخبار المسلمين المعيبة أو المضحكة . ويرجح أنها أيضاً من ترجمة هرمان الدالماشي .

وتقوم الرسالة الأولى على رواية لأسطورة تعرف باسم « مسائل عبد الله بن سلام » وهو يهودي يقال إنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض المسائل فأجاب عنها النبي إجابة دعت ابن سلام إلى اعتناق الإسلام . أما الرسالة الثانية فيرجع تسلسل السند فيها إلى كعب الأحبار . وتتضمن الرسالة الثالثة لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام من البداية حتى وفاة الحسين رضي الله عنه .

(راجع : موسوعة المستشرقين ص ٤٨ ، ٣٠٧) .

، والمبشر الشهير رايموندوس لوللوس[1] R. lullus الذي كان يمارس نشاطه التبشيري في أوساط المحمديين ، وديونيسيوس كارتوسيانوس D. Carthusianus ، ومور يوهانس أندرياس Maure Johannes Andreas الذي تحول من الإسلام إلى المسيحية (ص ١٤٥)[2] . ويضاف إلى هؤلاء أيضاً رواد آخرون في هذا المجال أشار إليهم ماراتشي بالاسم في مقدمة كتابه : الرائد[3] Prodromus . وقد ازدادت أعدادهم لدى ديفيك زيادة كبيرة .

أما ختام هذه النظرة الشاملة (التي قدمها ديفيك) فيدور حول المؤلف الضخم الذي أنجزه ماراتشي في ترجمة القرآن ونقضه عام ١٦٩١ وعام ١٦٩٨ .

مينور:

أما الكتاب الذي ألفه مينور[4] Minor عن كتاب جوته «محمد»

---

(١) ريموندوس لوللوس أو ريموند لول (١٢٣٥ - ١٣١٦) ولد في جزيرة ميورقة (مايوركا) الأسبانية بعد إجلاء المسلمين عنها . وقد تعلم العربية على يد عبد عربي . وله مؤلفات باللاتينية والعربية والكاتالانية (لغة محلية) . وكان هدفه الذي ناضل من أجلة طول حياته هو توحيد شعوب العالم تحت راية المسيحية . ويعد أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها .

(٢) يشير بفانمولار (ص ١٤٥) إلى أن هذا الرجل كان يسمى مور عبد الله Maure Abdallah وتنصر عام ١٤٨٧ وأصبح اسمه يوهانس أندرياس . وقد كلفه الملك فرديناند والملكة إيزابيلا بعد الاستيلاء على غرناطة بمهمة تنصير المسلمين في جنوب أسبانيا . ويقال إنه قد بذل في هذا السبيل جهوداً كبيرة ، ومن أهم مؤلفاته كتاب بعنوان « الرد على النحلة المحمدية » ألفه بالأسبانية وترجم إلى الإيطالية واللاتينية والألمانية (١٥٩٨) وكان هذا الكتاب يحظى بشهرة كبيرة في دوائر واسعة استمرت حتى خلال القرن الثامن عشر . وعلى الرغم من أن هجومه على الدين الإسلامي يتسم بالفظاظة - كما يقول بفانمولار - فإن العالم الهولندي البروتستانتي جيسبرت فوت Gisbert Voet قد وصف الكتاب بأنه وسيلة مفيدة لدراسة الإسلام وأوصى باستخدامه لهذا الغرض .

(٣) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو : « الرائد في الرد على القرآن » كما ستأتي الإشارة إليه فيما بعد .

(٤) عنوان الكتاب الذي ألفه مينور هو : « محمد لدى جوته » . وهو عبارة عن محاضرة نشرت في يينا بألمانيا عام ١٩٠٧ . وجوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢) يعد أشهر الأدباء الألمان على الاطلاق ومن أبرز الأدباء المعدودين في العالم .

Mahomet فإنـه يشتمـل أيضاً على تاريخ مفصل لترجمات القرآن وطبعاته حتى عصر جوته (ص ١٢١) .

وهنـاك تكملة قيمـة لعمـل مينـور تتمثـل في مقـالـة أدولف فولفيل Wohlwill وعنوانها « ألمانيا والإسلام وتركيا » [1] (ص ١٢١ وما بعدها) .

نظرة الغرب إلى القرآن وتطورها

أسباب سوء الفهم :

لقـد كان من الـواضـح أثناء القرون الخمسة الأولى للهجرة وحتى عصر الحروب الصليبية الثانية أنه لا يوجد كاتب مسيحي لديه معرفة واضحة بالقرآن . وعلى الرغم من المخالطة القوية بين المسيحيين والمسلمين - وبصفة خاصة في اسبـانيا - فإن صعوبة اللغة العربية قد وقفت حائلا دون معرفة دقيقة بكتاب محمد ، ولكن كان يحول دون ذلك أيضاً على وجه الخصوص (عامل آخر وهو) الفزع من هذا الكتاب الشيطاني ومن مضمونه المشين . وقد استمر هذا النفور والتخوف على مدى العصر الوسيط كله [2] . وكان ذلك لا يزال يتضح في مقدمات كل من ببلياندر في منتصف القرن السادس عشر (ص ١٤٧) وماراتشي في نهاية القرن السابع عشر (ص ١٧٠) .

الطبعة العربية للقرآن في أوربا :

باجـانيني :

لقد قام باجانيني Paganini الذي ينحدر من بريكسن [3] Brixen بإصدار أول

---

(١) نشرت هذه المقالة في مجلة Euphorion العدد ٢٢ لعام ١٩١٥ ، ص ١ - ٢١ ، ص ٢٢٥ - ٢٦٧ .

(٢) لقد كان ذلك كله نتيجة للشائعات الباطلة والافتراءات الظالمة التي كانت تروجها الكنيسة في أوربا ضد الإسلام ، وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى كتاب : نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى لمؤلفه ساذرن وترجمة د . علي فهمي خشيم وزميله دار مكتبة الفكر بطرابلس - ليبيا ١٩٧٥م .

(٣) مدينة إيطالية صغيرة تابعة لإقليم بوزين (Bozen) .

طبعة عربية كاملة للقرآن في البندقية عام ١٥٣٠ . وفور صدورها تمت مصادرتها بناء على أمر بابوي[1] . وقد أصدر البابا ألكسندر السابع (١٦٥٥ - ١٦٦٧) أمرا بمنع طبع القرآن ومنع ترجمته أيضاً .

هنكلمان :

وفي عام ١٦٩٤ تجرأ القس أبراهام هنكلمان من مدينة هامبورج بإعادة طبع النص الكامل للقرآن بالعربية . وكان يتحتم على هنكلمان أن يدافع عن نفسه في المقدمة ضد هجوم ثلاثي يتمثل في الاعتراضات التالية :

١ - لا تستحق هذه الطبعة التي قام بها ما بذل فيها من جهد .

٢ - لقد كان الأولى أن يصدر هذا الجهد المبذول في هذه الطبعة من شخص آخر وليس من لاهوتي ، وبخاصة إذا كان (هذا اللاهوتي) واحداً من قساوسة هامبورج .

٣ - لم يضف هنكلمان إلى النص العربي أية تعليقات أو ترجمة أو نقض لما جاء فيه .

وقد واجه هنكلمان هذه التهم على النحو التالي :

إنه لمن الأمور الضرورية معرفة القرآن معرفة عميقة إذا أراد المرء محاربته ، وإذا أراد شق طريق للمسيحية في الشرق . ويضاف إلى ذلك أن اللغة العربية ذات قرابة باللغة العبرية . ومن أجل ذلك فإنها تعد هامة لفهم الكتاب المقدس وللمقارنات اللغوية . وتدخل في الاعتبار أيضاً المراجع العربية العلمية والأدبية بجانب القرآن .

وأخيراً فإنه قد بدا له أن الترجمة مثيرة للشكوك نظراً للتفسيرات التي يناقض بعضها بعضاً لبعض المواضع في القرآن . وعلى الرغم من هذه التبريرات فإنه يبدو

---

(١) وقد تم إحراق جميع النسخ ، ولم يعثر لها على أثر حتى الآن . وأقدم من أشار إلى هذه الطبعة إربنيوس في كتابه « مبادىء اللغة العربية » - ليدن ١٦٢٠ . (موسوعة المستشرقين ص ٣٠٢) .

أن هنكلمان لم يسلم من الطعن والهجوم عليه بسبب هذه الطبعة التي قام بها للقرآن . ولكن من الخطأ أن يزعم المرء في القرن الثامن عشر وما بعده أيضاً بأن هذه الطبعة العربية للقرآن كادت أن تجعل هنكلمان يدفع الثمن بسببها من منصبه وسمعته . فالأمر الراجح هو أن جهده في هذا العمل - بصرف النظر عما يكتنفه من بعض القصور - قد حظي بالاعتراف والتقدير من جانب المتخصصين مدة تزيد على قرن من الزمان .

(يراجع في ذلك : أدولف فولفل Wohlwill في بحثه : « هامبورج والإسلام في نهاية القرن السابع عشر » . المنشور في مجلة جمعية تاريخ هامبورج . العدد ١٣ لعام ١٩٠٨ ص ٣٧٥ - ٣٩٠ ؛ ويراجع أيضاً : ألمانيا والإسلام وتركيا . المنشور في مجلة أويفوريون Euphorion ٢٢ - الكراسة الأولى ص ١٤ وما بعدها) .

ماراتشي :

وبعد طبعة هنكلمان بأربع سنوات قام لودفيكوس ماراتشيوس[(١)] - بناء على أمر البابا إنوتسينز الحادي عشر Innocenz - بنشر النص العربي الكامل للقرآن مع ترجمة لاتينية ونقض تفصيلي للقرآن (ص ٢١٤) . وكانت طبعة هنكلمان وماراتشي تعدان أكثر الطبعات انتشاراً حتى في القرن التاسع عشر .

طبعات روسية :

أما الطبعة التي تم إنجازها بناء على أمر الإمبراطورة الروسية كاترين

---

(١) ماراتشيوس (أو : ماراتشي) : أحد رجال اللاهوت الإيطاليين . أمضى حياته كلها في إعداد دراسات هدفها - كما يزعم - البرهنة على بطلان الإسلام وفي الوقت نفسه البرهنة على حقيقة الديانة المسيحية . وقد صدر كتابه في « تفنيد القرآن » عام ١٦٩١ ، ثم نشر النص العربي الكامل للقرآن عام ١٦٩٨ مع ترجمة لاتينية مصحوبة بهوامش كثيرة ومحاولة فاشلة لنقض القرآن فقرة فقرة (راجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ١٣٨ هامش ١٤) .

الثـانية[1] (بطرسبرج ١٧٨٧ وأعيد طبعها بعد ذلك مراراً) ، وكذلك طبعات قازان (١٨٠٣ وما بعدها) وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطبعة السابقة[2] – فقد كانت من الطبعات النادرة جداً .

طبعات آخرى

وأمـا طبعة ككلتا عام ١٨٢٩ فلم تكن ذات قيمة . وأما طبعة فلوجل[3] للنص العربي للقرآن والتي ظهرت أول مرة عام ١٨٣٤ فقد كانت أكثر انتشاراً في ذلـك الحين ، وقد أعيد طبعها بعد ذلك مرات عديدة[4] . وقد راجعها وأعاد النظر فيها ريدزلوب[5] Redslob .

---

(١) نشرت هذه الطبعة برعاية الإمبراطورة المذكورة « ليستفيد منه (من القرآن) رعاياها المسلمون » . وقد أشرف على الطبع ملا عثمان إسماعيل . وفي نهاية الطبعة فهارس لأجزاء القرآن الثلاثين ولسوره المائة وأربع عشرة وجدول تصحيحات لعدد اثنين وثلاثين غلطة مطبعية . وفي الهامش بعض الحواشي . (موسوعة المستشرقين ص ٣٠٤) .

(٢) أشرف على طبعة قازان – كما ورد فيها – « أحقر عباد الله عبد العزيز توقطمش بن علي » (موسوعة المستشرقين ٣٠٤) .

(٣) جوستاف فلوجل Fluegel (١٨٠٢ – ١٨٧٠) مستشرق ألماني معروف . وبالإضافة إلى نشرة للنص العربي للقرآن قام بإعداد فهرس للقرآن عام ١٨٤٢ (ليبتزيج) ، وكان هذا الفهرس يعد أول عمل من نوعه . وعن هذا الفهرس يقول د . عبد الرحمن بدوي (موسوعة المستشرقين ٢٨٧) : « وكل ما عمل بعد ذلك من فهارس في البلاد العربية والإسلامية عيال عليه . ومع ذلك لم يصل إلى درجته من الدقة والاستيعاب . وعلى الرغم من أن فؤاد عبد الباقي في كتابه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » قد اعتمد عليه اعتماداً تاماً فإن في فهرس فلوجل كلمات ومواد لا ترد في فهرس عبد الباقي رغم ادعاءات عبد الباقي » .

(٤) كان ذلك في أعوام ١٨٤١ ، ١٨٥٨ ، ١٨٧٠ ، ١٨٨١ ، ١٨٩٣ .

(٥) ظهرت الطبعة التي راجعها ريدزلوب عام ١٨٣٧ في ليبتزيج . وقد احتج فلوجل على سرقة جهده ونشره دون إذن منه . وقد جاء هذا الاحتجاج في مقدمته للجزء الثاني من نشرته لكتاب « كشف الظنون » لحاجي خليفة ص ٩ – ١٠ (بالأرقام الرومانية) . (موسوعة المستشرقين ٣٠٥) .

الترجمة اللاتينية للقرآن :

الترجـمة الأولـى

لقد تمت أول ترجمة لاتينية للقرآن عام ١١٤٣ بناء على تكليف من بطرس الموقر (رئيس رهبان) كلوني . وقد أنجز هذه الترجمة العالم الإنجليزي روبرتوس ريتيننزيز وشاركه في هذا العمل هر مانوس الدالماتيني[١] (ص ١٤١) . وبعد ذلك بأربعمائة عام كاملة أعد هذه الترجمة للطبع مرة أخرى تيودور ببلياندر خليفة تسفنجلي بإيعاز من لوثر وغيره (ص ١٤٧) - كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وفي دفـاع تبريري مطول قام ببليانـدر بتبرير موقفه بشأن هذا المشروع ، وأضاف إلى الترجمة اللاتينية طائفة كبيرة من الردود على القرآن (لعدد كبير من الشخصيات) . ومن بينهم على سبيل المثال : لودفيكوس فيفيز Vives ، سافونا رولا Savonarola ، نيكولاوس دي كوسا ، الأخ ريتشارد الذي ينتسب إلى طائفة الوعاظ Predigerorden .

وقـد قام فيليب ميلانشتـون Melanchthon بكتـابـة « توجيه إلى القـاريء المسيحي » قدم به هذه المجموعة كلها وظهرت في طبعة ثانية عام ١٥٥٠ . ولكن الترجمة اللاتينية لا تستحق في حقيقة الأمر هذا الوصف لأنه لا يكاد يكون هناك وجه شبه بينها وبين الأصل .

دومينيكوس :

وبعد ذلك بمائة عام تقريباً قام - في الفترة ما بين عام ١٦٥٠ وعام ١٦٦٥ -

---

(١) يقال إن هذه الترجمة قد تمت بمعاونة عربي مسلم يدعى « محمد » . ولم يرد أي ذكر للقبه أو كنيته أو أي اسم آخر له . وهذه الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن تعد أقرب إلى التلخيص الموسع منها إلى الترجمة ، إذ أنها لا تلتزم بالنص من ناحية الدقة والحرفية ، ولا تلتزم بترتيب الجملة في الأصل العربي ، وإنما تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم .

وبالإضافة إلى هذا العيب العام في الترجمة هناك أخطاء جزئية في فهم بعض الآيات . وعن هذه الترجمة اللاتينية تمت أول ترجمة إيطالية قام بها أريفابيني : Arrivabene عام ١٥٤٧ ، وعن هذه الترجمة الإيطالية تمت ترجمة ألمانية قام بها سالومون شفايجر Schweiggr عام ١٦١٦ ، وعن هذه الترجمة الألمانية تمت ترجمة هولندية عام ١٦٤١ . (موسوعة المستشرقين ٣٠٦ - ٣٠٨) .

أحـد الـرهبـان الألمان الفرنسيسكان وهو دومينيكوس من شيليزين - وكان قد اكتسب معارف لغوية واسعة عن طريق رحلاته المتكررة إلى الشرق - قام بتأليف كتـابـه تفسـير القـرآن Interpretatio Alcorani . وهذا الكتاب عبارة عن ترجمة (لاتينية) للقرآن مصحوبة بعدد كبير من التعليقات . وتعد ترجمته هذه - على وجـه العمـوم - ترجمـة أمينة وحرفية . وتلك مهمة صعبة نظراً لوجود كثير من الكلمات الغـامضـة في القرآن ، وكذلك الإشارات أو التلميحات التي لم تكن مفهومة إلا لدى الذين كانوا يستمعون للنبي .

ومن أجل ذلك استخدم المؤلف كتب التفسير العربية التي كانت تعد مجهولة تماماً لدى المترجمين الأوائل للقرآن . ويعد دومينيكوس أول من استخدم هذه المراجع العربية في التفسير قبل ماراتشي . صحيح أن هذه التفاسير تعيد في أغلب الأحيان إعطاء المعنى الذي أعطاه عصرها لكلمات القرآن أكثر مما تعطي المعنى الحقيقي للقرآن في واقع الأمر . ومن هذا يتضح إذن أنه حتى هذه الترجمة أيضاً تبتعد كثيراً عن أن تكون ترجمة تتصف بالكمال . ولكنها مع ذلك تعد من غير شك أفضل كثيراً من الترجمة الأولى التي تمت في القرن الثاني عشر .

وعلى كل حال فإن دومينيكوس يرجع إليه الفضل بوصفه أول من استخدم بطريقة كافية كتب التفسير العربية لتوضيح معاني القرآن ، وذلك قبل ماراتشي بثلاثين عاماً ، ولكن كتابه لم ينشر ، بل ظل مخطوطاً نظراً لأن المؤلف لم تكن لديه الشجاعة للخروج على الحظر الذي فرضة البابا الكسندر السابع . وهكذا ظل هذا الكتاب في طي النسيان إلى أن اكتشفه ديفيك عام ١٨٨٣ ، وعرف به قراء المـجـلة الأسيوية Jornal Asiatipue (الـعـدد الـثـامـن - ١٨٨٣/١ ص ٣٤٣ - ٤٠٦) وذلك في مقالة طويلة بعنوان : « ترجمة غير منشورة للقرآن : «Une Traduction Inedite du Coran .

مـاراتشي :

وفي عام ١٦٩٨ ظهـر المؤلف الضخم للقس الايطالي لودفيج ماراتشي[1]

---

(١) لقد سبق التعريف بماراتشي عند الحديث على الطبعة العربية للقرآن الكريم في أوربا .

الذي كان مختصاً بأمور الاعتراف للبابا أنوتسينز الحادي عشر . وقد أمضى ماراتشي من عمره أربعين عاماً في دراسة القرآن وكتب التفسير العربية لكي يضرب محمداً بنفس سلاحه . وقد جاءت حصيلة هذه الدراسة في نشره للنص العربي للقرآن مصحوباً بترجمة لاتينية وهوامش توضيحية ونقض لكل فقرة من فقرات القرآن على حدة .

وكان ماراتشي قد أصدر عام ١٦٩١ قبل هذا المؤلف الضخم كتاباً آخر عنوانه « الرائد في الرد على القرآن :

«Prodromus ad Refutationem Alcorani

أثبت فيه على وجه التفصيل - بعد تناول قصير لحياة محمد وللقرآن - بطلان النحلة المحمدية وصحة الديانة المسيحية[١] .

أما ما يتعلق بترجمة ماراتشي فإنها تمثل تقدماً كبيراً في مقابل ترجمات السابقين . فقد اعتمد ماراتشي أكثر مما فعل دومينيكوس على المفسرين العرب للقرآن من أجل توضيح كل المواضع الغامضة . وقد وضع ماراتشي في اعتباره أن هؤلاء المفسرين قد اختلقوا الكثير وأضافوا الكثير . ومن هنا كان حرصه على أن تأتي ترجمته متفقة حرفياً مع النص الأصلي بقدر الإمكان[٢] .

وقد عنى ماراتشي بصفة عامة عناية بالغة بالتفسير الدقيق للكلمات من الناحية اللغوية في حين أن المادة العلمية التي قدمها دومينيكوس لم تكن لها قيمة كبيرة ، ولكن كان لها إغراؤها أو جاذبيتها من حيث أنها كانت تجميعاً مختلف الألوان من الأساطير المسيحية واليهودية والشرقية .

وفيما بعد قام كريستيان راينيكه Reinecke عام ١٧٢١ بتيسير استخدام

---

(١) انظر في الهامش التالي تعليق جورج سيل على محاولة ماراتشي الفاشلة في الرد على القرآن .

(٢) يقول جورج سيل عن ترجمة ماراتشي ما يأتي : « إن ترجمة ماراتشي هي على وجه العموم دقيقة جداً ، ولكنها تلتزم بالنص العربي على نحو حرفي يجعل من غير السهل فهمها على أولئك الذين ليسوا متضلعين في العلوم الإسلامية . صحيح أن التعليقات التي زودها بها مفيدة جداً ، لكن ردوده - وقد تضخمت إلى مجلد كبير - ليست لها قيمة إطلاقاً أو قيمتها ضئيلة ، لأنها غير مقنعة ، وأحياناً غير موفقة » (موسوعة المستشرقين ص ٢٥١) .

النص الـلاتيني لماراتشي بإخـراجه في حجم سهل التناول . وقد كتب راينيكه مقـدمـة للترجمـة اللاتينية للقرآن تناول فيها تاريخ القرآن وقدم وصفاً للعقيدة المحمدية وانحرافها عن العقيدة الصحيحة [١] .

الترجمة الفرنسية :

دو ريـــير :

لقد ظهرت أول ترجمة فرنسية للقرآن عام ١٦٤٧ . وصاحب هذه الترجمة هو دو ريير[٢] Du Ryer الذي كان قنصلاً لفرنسا في مصر مدة طويلة نسبياً . وقد اكتسب هناك معرفة باللغة العربية جديرة بالتنويه بالنسبة لعصره . وقد قوبلت ترجمتـه باهتـمام بالغ وأعيد طبعها مراراً على مدى قرن ونصف . وبفضل هذا الكتاب الصغير - الذي تم إخراجه بحروف طباعة رشيقة مثل كتب الشعائر الدينية الكاثوليكية - استطاع الجمهور أن يستكمل معارفه التي سبق أن قدمها له بوديه Baudier (ص ١٦٨ ومابعدها) ، وقد كان هذا الكتاب أيضاً بمثابة وسيلة جيدة لنقض القـرآن ، لأن كل امـريء كان يعتقد أنه يستطيع بقراءته المباشرة للنص أن يتأكد بنفسه من مبلغ ما وصل إليه الشرع المحمدي من الازدراء[٣] .

وقد قدم دو ريير لترجمته بإلقاء نظرة إجمالية على دين الأتراك ، وهي نظرة

---

(١) هكذا يتم قلب الحقائق . ولا غرابة في ذلك ، فإن كل هذه الكراهية للإسلام من جانب غالبية المستشرقين واللاهوتيين ترجع في أساسها إلى تلك الحقيقة المتمثلة في كشف القرآن عن مدى الانحراف في العقائد المسيحية واليهودية والذي تم على أيدي أتباع هذين الدينين .

(٢) دو ريير (١٥٨٠ - ١٦٦٠) مستشرق فرنسي . لقيت ترجمته للقرآن رواجا عظيماً قبل أن تظهر إلى الوجود ترجمة سافاري والتي صدرت بعدها بمائة وست وثلاثين عاماً . وعن ترجمة دوريير الفرنسية ترجم القرآن إلى الإنجليزية والهولندية وعن هذه الترجمة الهولندية ترجم إلى الألمانية . (موسوعة المستشرقين ص ٢٢٣) .

(٣) الازدراء هنا هو في حقيقة الأمر ازدراء واحتقار لعقول القراء الذين يكتب المستشرقون لهم هذا الكلام الذي ينطوي على تزييف للحقائق وتزوير للتاريخ .

كانت أكثر وضوحاً من كتاب بوديبه . ومنها يتضح كيف امتزجت العناصر التي تكونت منها الصورة العامة والأدبية للمحمدي (المسلم) امتزاجاً تاماً بالمأثور (على النحو التالي) : الصلوات العديدة وما يتصل بها من وضوء وركوع وسجود ، والصوم الكبير (صوم رمضان) ، وتعدد الزوجات ، وجنة الحور العين والحج إلى مكة . وقد كان ذلك كل شيء تقريباً [1] .

وقد اعترض فيما بعد على ترجمة دو ريير - وبصفة خاصة من جانب سافاري - بأنها ترجمة غير دقيقة . وكانت هناك شكوى من أن هذه الترجمة قد حولت آيات القرآن إلى كلام مرسل بدون حدود لأنها لم تميز بين الآيات . وواقع الأمر هو أن هذه الترجمة مع كل ما اشتملت عليه من أخطاء ليست أسوأ كثيراً من غيرها من الترجمات التي ظهرت حتى نهاية القرن الثامن عشر . والخطأ الواضح للعيان في هذه الترجمة يتمثل في عدم الدقة والاضطراب المستمر في الأسلوب . وقد عزا النقد ذلك إلى محمد في حين أنه لم يكن في الحقيقة إلا خطأ دو ريير وحده . ومنذ ذلك التاريخ ظل الكتاب المقدس لدى المحمديين زمناً طويلاً يوصف بأنه عبارة عن « أناشيد أو تراتيل لا يربط بينها رابط » أو أنه يمثل « فوضى بربرية لا شكل لها »[2] .

محمد وعصر التنوير :

سافاري :

أما عصر التنوير الذي كان له رأي جديد تماماً في محمد فقد جاء أيضاً بترجمة

(١) كيف يمكن أن يفهم الإسلام من لا يعرف عنه إلا هذا القدر . الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق ونظام شامل للحياة بكل أبعادها . وبدون هذه النظرة الشاملة لا يمكن فهم الإسلام فهما سليما . أما التركيز على قضايا مثل تعدد الزوجات والحور العين وما شاكل ذلك وكأن ذلك هو أبرز ما في الإسلام فهذا ليس من العلم في شيء .

(٢) لا شك في أنه إذا كانت الترجمات سيئة ومغرضة فإنها ستعطي للقارىء الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام هذا الانطباع السيء. والقرآن غير مسئول عن ذلك ولكن المسئول هو من تصدي لترجمة القرآن وهو لا يملك الأدوات الضرورية لمثل هذا العمل الخطير .

جديدة للقرآن . وكانت هذه الترجمة هي ترجمة سافاري Savary التي أنجزها عام ١٧٨٣ . وقد اتخذت هذه الترجمة لنفسها هدفاً يتمثل في وضع القارىء في مستوى يعبر فيه بذكاء عن رأيه في مشرِّع الجزيرة العربية . وحتى ذلك الحين كان يقال عن القرآن (في الفرنسية) L'Alcoran (باستخدام أداتي التعريف الفرنسية والعربية) ، ولكن سافاري استخدم كلمة قرآن Koran التي استقرت بصفة نهائية . ولعل ترجمة سافاري لم تكن لها القيمة ولا الأصالة التي ادعاها المؤلف الطموح . ولكنها جاءت في الوقت المناسب كما كان الشأن أيضاً بالنسبة لترجمة دو ريير قبل ذلك بقرن ونصف .

وقد سبق أن قال دو ريير للقاريء : « إنك ستدهش حين تعرف أن سخافات القرآن قد سممت أفضل أجزاء العالم ، وستعترف بأن معرفة ما يتضمنه هذا الكتاب (القرآن) يجعلك تزدري هذا الشرع »[1] .

ولكن سافاري - على العكس من ذلك - يؤكد أن الفيلسوف سيجد في القرآن الوسيلة التي اتخذها إنسان اعتمد على عبقريته وحدها لكي ينتصر على عبادة الأوثان لدى العرب ولكي يقدم لهم شعائر دينية وتشريعات ، وسيجد فيه

---

(١) لقد تعودنا في بحوثنا عن الاستشراق أن ننقل هجوم المستشرقين على الإسلام وسخافاتهم حول القرآن بنصها دون أن نحجب منها شيئاً عن القاريء المسلم . وإذا كانت مثل هذه الأقوال الخرقاء تصدم القاريء وتصدم الشعور الإسلامي فإننا مع ذلك نريد أن يطلع القاريء المسلم على تصورات الغرب للإسلام على حقيقتها . ونريده أن يعرف أيضاً أن الشعور العدائي السائد في الغرب ضد الإسلام في عصرنا الحاضر ليس أمراً عرضياً أو وليد الصدفة ،وإنما يمثل ثقافة ترسخت في أذهان الغربيين منذ قرون طويلة ، ولا يزالون يعلمونها لأبنائهم في مدارسهم حتى اليوم تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل .

والأمر المؤسف أننا كأمة إسلامية لم نفعل شيئاً على الإطلاق لمواجهة هذا الوباء المستشري في نسيج الثقافة الغربية مواجهة علمية حقيقية تكشف التزوير المقصود والتزييف المتعمد لحقائق الإسلام . وبدلاً من ذلك بدأنا نرى بعض الدعاة يذهبون إلى بلاد الغرب وهم لا يعون شيئاً مما يدور حولهم وكل همهم التركيز على هامشيات الإسلام مثل إطالة اللحية وتقصير الثوب والمواظبة على السواك والدفاع عن النقاب وعن تعدد الزوجات . وهكذا نعمل نحن -بقصورنا وتقصيرنا- على ازدياد سوء الفهم وزيادة ترسيخه في أذهان الغربيين .

بين الكثير من الأساطير والتكرار ملامح سامية وحماساً . وتلك أمور تعد مناسبة لكي تخضع شعوباً ذات طبيعة نارية .

وقد جاءت هذه الترجمة الجديدة مصحوبة بفصل عن حياة محمد[1] . وقد اعتمد سافاري في ذلك من غير شك اعتماداً كبيراً على كتاب العالم الإنجليزي سيل (ص ١٧١ وما بعدها) . وقد جاء هذا الفصل بمعلومات واضحة ومحايدة إلى حد ما .

وأكثر الترجمات الفرنسية للقرآن انتشاراً اليوم[2] ترجمة كاسيميرسكي[3] الذي عمل فترة طويلة مترجماً لدى البعثة الفرنسية في إيران . وقد قام بإنجاز ترجمة جديدة للقرآن مستعيناً في ذلك بترجمتي ماراتشي وسيل وبما تشتمل عليه هاتان الترجمتان من هوامش . وقد وجه عنايته في الترجمة إلى الاحتفاظ بطابع الأصل والارتباط الوثيق بالنص الأصلي بقدر الإمكان .

الترجمة الانجليزية :

جورج سيل :

أما الترجمة الإنجليزية الأولى للقرآن فقد كانت من عمل جورج سيل Sale . وقد حافظت هذه الترجمة على الطريق الوسط بين التصوير الحر والاحتفاظ بطريقة حرفية بكل التعبيرات والمصطلحات الواردة في النص العربي . وتعد ترجمة سيل في عمومها دقيقة ، ولكن سيل كانت تنقصه المهارة الأدبية والقدرة على

---

(١) لقد جاءت ترجمة سافاري في مجلدين : يشتمل المجلد الأول على مقدمة تتضمن مقارنة بين هذه الترجمة والترجمات الأخرى قديماً وحديثاً ثم يأتي بعد ذلك الفصل الخاص بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويعقبه ترجمة القرآن حتى نهاية سورة إبراهيم - ويشتمل المجلد الثاني على ترجمة بقية سور القرآن مع تعليقات موجزة يبدو أنه لم يعتمد فيها على الأصول العربية وإنما اعتمد فيها على تعليقات ماراتشي (موسوعة المستشرقين ٣٠٩) .

(٢) يلاحظ أن بفانمولر قد كتب هذا الكلام في نهاية الربع الأول من القرن الحالي .

(٣) ألبير كاسيميرسكي (١٨٠٨ - ١٨٨٧) تخرج في جامعة برلين ورحل إلى الشرق واستقر في فرنسا . وقد ترجم إلى الفرنسية المقدمة التمهيدية التي كتبها جورج سيل لترجمته الانجليزية للقرآن وأضاف كاسيميرسكي هذه المقدمة إلى ترجمته الفرنسية للقرآن التي نشرت عام ١٨٤١ .

تقديم التأثير العربي للنص ولو في أقل درجة . وهذا فضلاً عن سلوكه المحزن في وصل الآيات والفقرات ببعضها بعضاً . وهذا كله جعل ترجمته تصبح كتاباً من أكثر الكتب إثارة للملل . وقد كان عمله هذا - على الرغم من إخلاصه فيه - مسئولاً بدرجة كبيرة عن النفور من القرآن .

أما المقدمة التمهيدية (التي كتبها سيل) للترجمة فقد كانت مفيدة جداً في الزمن اللاحق ، وتم نقلها (إلى الفرنسية) . وتشتمل هذه المقدمة على ثمانية أقسـام : القسم الأول منها عن العرب قبل ظهور محمد ، والقسم الثاني عن أوضاع المسيحية الشرقية واليهودية في عصر ظهور محمد ، والقسم الثالث عن القرآن ، والقسم الرابع عن تعاليم القرآن ووصاياه ، والخامس عن المحرمات المحددة في القرآن ، والسادس عن تشريعات القرآن في الأمور المدنية ، والسابع عن الأيام والشهور المقدسة ، والثامن عن الفرق الرئيسية لدى المحمديين .

وقد كان المؤلف يقصد من وراء هذه المقدمة أن تتضمن كل ما هو ضروري للقاريء لتفهم القرآن . وتستند هذه المقدمة بدرجة كبيرة إلى كتاب إدوارد بوكوك « لمع من تاريخ العرب » (ص ١٦٤ ، ١٦٩) .

رودويل :

يقدم لنا رودويل[١] Rodwell (في ترجمته للقرآن) سور القرآن وفقاً للترتيب الـزمني (لنـزولهـا) ، ويأخـذ في الاعتبـار بكل عناية التفسير التقليدي لدى المحمديين . وترجمته مفعمة بالجمال الأدبي . وقد استفاد للمرة الأولى من نتائج البحث النقدي الألماني في ترتيب الأجزاء المختلفة للقرآن ترتيباً زمنياً على وجه التقريب .

---

(١) نشرت ترجمة رودويل في لندن عام ١٨٦١ وقد أعيد نشرها في طبعة منقحة ومعدلة في ٥٦٢ صفحة عام ١٨٧٦ .

بالمر :

أما الترجمة التي أعدها بالمر[١] Palmer فإنها تعد حتى الآن أحسن الترجمات على الاطلاق . فإحاطته العميقة باللغة الحديثة للبدو تضعه في المستوى الذي يعطي لترجمته حياة خاصة تماماً . فالمرء يقرأ ترجمته مثلما يقرأ كلمات عربي ينبض بالحياة وليس مجرد أقوال ميتة من أقوال الماضي . وكان بالمر يعرف الشعب (العربي) ويعرف تاريخه ، هذا الشعب الذي خاطبه القرآن والذي لا يزال اليوم كما كان في عصر محمد[٢] . وقد أضفى ذلك على ترجمته قدراً كبيراً من النضارة .

ولكن هذه الترجمة لها مساوئها أيضاً . فمن المؤكد أن القرآن يشتمل أيضاً على تعبيرات عامية[٣] ، ولكن خطأ بالمر يتمثل في أنه قد حاول أن يحذو في تصوير هذه التعبيرات Vulgarism حذو اللغة الإنجليزية . ويريد بالمر أيضاً أن يترجم القرآن ترجمة حرفية تماماً . ولكن على الرغم من كل الأخطاء فإن بالمر يقترب من روح القرآن أكثر من غيره (ممن ترجموا القرآن) .

وقد تناول بالمر بالبحث في مقدمة مسهبة أرض الجزيرة العربية وسكانها

---

(١) إدوارد هنري بالمر (١٨٤٠ - ١٨٨٣) مستشرق انجليزي . كان يجيد العربية إجادة تامة ويكتب بها شعراً ونثراً . وقد اتصل بالبدو في صحراء سيناء وتضلع بلهجاتهم وعاداتهم ، وعرف بينهم بالشيخ عبد الله . وقد لقي حتفه في صحراء سيناء . ومن شعره بالعربية قوله :

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ‏ ‏ مذ جرى ما قد كفي من مقلتي
قد برى أعظم حزن أعظمي ‏ ‏ وفنى جسمي حاشا أصغري
(المستشرقون للعقيقي جـ٢ ص ٦٥ وما بعدها - ط ٤) .

(٢) يلاحظ أن بفانمولل قد كتب هذا الكلام عام ١٩٢٣ .

(٣) كيف يتسنى لبفانمولل أن يزعم ذلك ويؤكد هذا الزعم ؟ فالقرآن نفسه والواقع يكذبان ذلك . فقد نزل القرآن « بلسان عربي مبين » وتحدى العرب أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله فعجزوا . وإذا كانت هناك تعبيرات عامية مبتذلة كما يدعي فلماذا سكت خصوم القرآن من العرب عن كشف ذلك ومواجهة تحدي القرآن لهم بتحد من هذا القبيل الذي يزعمه بفانمولل في نقده لترجمة بالمر . لقد كان بالمر أصدق حسا باللغة العربية . ومن هنا فلا مجال لهذه المزاعم . والواقع أن هذه النقد الذي وجهه بفانمولل للترجمة ليس هو صاحبه وإنما سار فيه وراء لين - بول Lane - Poole - كما سيتضح ذلك بعد قليل .

والأوضاع السياسية والدينية في عصر ظهور محمد ، كما تناول أيضاً حياة محمد وتعاليمه وتحدث عن القرآن والتعاليم الأساسية للإسلام .

أما المضمون الموجز الذي قدمه لسور القرآن المائة والأربعة عشر فإنه يعد ضميمة طيبةجداً ، وقد جاءت الترجمة مصحوبة بهوامش موجزة . (يراجع في ذلك : التقييم المسهب لترجمات سيل ورودويل وبالمر والذي كتبه لين - بول St. Lane - Poole في Edinburgh Review - العدد ١٥٤ لعام ١٨٨١ ص ٣٥٧ - ٣٩٧) .

(للبحث بقية في العدد القادم إن شاء الله)

الرسالـــة المحمديـــة في المؤلفـات الغربيـــة

(الحلقـة الثانيـة)

أ. د. محمود حمدى زقزوق
الأستاذ بجامعتي الأزهر وقطر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

تمهيـــد :

نســتأنـف في هـذه الحلقـة بإذن الله ما بدأنــاه في الحلقــة السـابقــة من عــرض لبعـض التصـورات الغربيـة عن الإســلام في المـؤلفــات الغربيــة على أســاس من كتـاب جوسـتاف بفانمـوللر Gustar Pfannmuellev «موجـز في أدبيـات الإسـلام» Handbuch der Islamliteratur الذي نشـر في برلـين عـام ١٩٢٣ وأعيـد طبعـه عـام ١٩٧٤ .

وقد اشتملت الحلقة السابقة على الحديث عن النقاط التالية :

- التناول العام للتعاليم المحمدية .
- العقائــد الأخرويـة .
- التصور الإسلامي للألوهية وقضية الوحي .
- القرآن ونظرة الغرب إليه وتطور هذه النظرة .
- الترجمات الكاملة للقرآن الكريم في اللاتينية والفرنسية والإنجليزية .

أما الجزء الذي يطالعه القاريء في الصفحات التالية فيتناول ما يأتي :

- الترجمات الألمانية الكاملة للقرآن الكريم .
- الترجمات الجزئية للقرآن الكريم .
- المؤلفات الغربية التي تعد بمثابة مداخل إلى القرآن الكريم وتاريخه .
- تفسير القرآن الكريم .
- الحديث النبوي :
- ببليوجرافيا الحديث .
- مجموعات الكتب الحديثية .
- بحوث حول الحديث .

ونود أن نذكر القارىء الكريم بأننا - كما عودناه في الحلقات السابقة التي نشرت في هذه المجلة - لا نكتفي بمجرد الترجمة لما ورد في كتاب بفانموللر المشار إليه وإنما يقوم بالتعليق على آراء المؤلفين الغربيين حول الإسلام كلما اقتضت الضرورة ذلك، ونعرّف بأهم الكتاب والمستشرقين الذين يرد لهم ذكر في كلام بفانمـوللـر . وفضـلاً عن ذلك عمدنا إلى تقسيم الموضوع إلى فقرات ووضعنا لها عناوين جانبية حتى يتيسر للقـارىء

الإلمام في سهولة ويسر بأطراف الموضوع. ومن بين الأمور التى نهدف إليهـا من وراء ما أخذناه على عاتقنا منذ سنوات من تعريف القارىء المسلم بالتصورات الغربيـة عن الإسلام من واقع مؤلفات الغربيين بـاللغـات الأوربيـة المختلفـة(١) - تقديم خدمـة علمية للباحثين المسلمين تكون بمثابة مدخل إلى المؤلفات الغربية عن الإسلام، حتى ينهض القادرون منهم لتحمل مسئوليتهم العلمية نحو دينهم، فيتوفر فريق منهم على دراسة هذه المؤلفات وغيرها من مؤلفات مماثلـة صـدرت بعـد ذلك دراسـة متعمقـة تمهيداً لإخراج دراسات علمية إسلامية جادة باللغات الأجنبية في شتى القضايـا التي يثيرها الكتاب الغربيون حول الإسلام، ليس فقط بهدف الرد على ما يثار ضد الإسلام من مزاعم ومفتريات، وإنما أيضاً - وفي المقام الأول - بهدف بناء نظرة علمية إسلامية في قضايا الدين والحياة والمجتمع على أسس راسخـة لا يملك العقل العلمي المعـاصر إزاءها إلا التسليم بصوابها. وبذلك نزيل الشوائب التي علقت في أذهان الغـربيين - وربما في أذهان الكثيرين من المسلمين - فحجبت عنهم الرؤية الصحيحة للإسلام.

وهذا العمل يجب أن يحظى من أبناء الإسلام بـالأولـويـة التي يستحقهـا، وذلك حتى لايظل الإسلام هكذا - كما نراه اليوم - مظلوماً من خصومه وأتباعه على السواء : مظلوماً من خصومه الذين اتخذوه مجالاً للسخرية والاستهزاء، ومظلوماً من أتباعه الذين قصرت هممهم عن تحمل أعباء الجهـاد العلمي الـذي لايقل أهميـة عن الجهـاد بالنفس والمال.

والله من وراء القصد وبه نستعين.

ترجمـــة وتعليقـــات

الترجمات الألمانية الكاملة للقرآن الكريم :

١ - شفـا يجــر :

لقد كانت أول ترجمة ألمانية للقرآن من عمل رجل من رجال الدين بدمينة نورنبرج هو القس سالمون شفايجر S. Schweigger وكان قد اطلع في القسطنطينية عن طـريق

(١) انظر كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٤ - مكتبة وهبة ١٩٨٧.

المصادفة على الترجمة الإيطالية التي قام بها أندريه أرّيفـابين Andrea Arrivabene عام ١٥٤٧ (ص ٢١١)(٢) . وعلى أساس من هـذه الترجمة الإيطـاليـة التي لم تكن تـرجمة دقيقة بحال من الأحوال، لأنها لم تكن معتمدة على النص العربي، بل كانت معتمـدة على الترجمة الـلاتينيـة الأولى التي تمت في القـرن الثـاني عشر(٣) ، وهي تـرجمة كـانت قاصرة قصوراً بالغاً (ص ٢١٣) - على أساس من هذه الترجمة الإيطالية المشـار إليهـا قام شفايجر عام ١٦١٦ بإنجاز ترجمته الألمانية للقرآن، وهي ترجمة ثقيلة على الفهم(٤). وقد قدم لها بفصل جدلي للغاية يتسم بالنزعة الهجومية تناول فيه بصفة خاصـة حيـاة محمد وتعاليمه .

٢ - لانجــه :

وبعد ذلك باثنين وسبعين عاما قام أحد طلاب الدراسـات العليـا في الطب وهـو يوهان لانجه Lange والذي اشتغل كثيراً بالترجمات من اللغات الأجنبيـة (. . . .) - قام بإنجاز ترجمة ألمانية للقـرآن دون أن يكـون لـه علم بترجمة سلفـه، ولكن تـرجمتـه بدورها لم تعتمد على النص العربي، وإنما اعتمدت على الترجمة الفرنسيـة التي قـام بها دو ريير[٥]؛ وكانت هذه الترجمة قد أتت إلى ألمانيا عبر هولندا .

٣، ٤ - نيريتر وأرنولـد :

وهناك ترجمة ألمانية للقرآن أعدها نيريتر Nerreterعام ١٧٠٣ وترجمة أخرى أعدها تيودور أرنولد Th. Arnold عام ١٧٤٦ ، ولكن هاتين الترجمتين تعتمدان بدورهما على ترجمات أجنبية . فالترجمة الأولى تعتمد على الترجمة اللاتينية لماراتشي، والثانية تعتمـد على الترجمة الإنجليزية لجورج سيل[٦] .

---

(٢) تشير الأرقام الموضوعة بين قوسين هنا وفي مواضع أخرى من هذه الفصول إلى إحالة المؤلف إلى أرقـام الصفحـات التي ورد فيها ذكر الموضوعات المشار رليها في كتابه .

(٣) انظر ص ٧٩ من العدد الرابع من هذه المجلة حيث تحدثنا عن هذه الترجمة اللاتيية الأولى للقرآن .

(٤) أعيد نشر هذه الترجمة عام ١٦٢٣ في نورنبرج بألمانيا . وعنوان الترجمة جاء على النحو التالي : قرآن محمد وهو قـرآن الأتراك - ترجم أول مرة من العربية إلى الإيطالية (كذا) وقد ترجمه الآن رلى اللغة الألمانية السيد سـالمون شفـايجر - نورنبرج ١٦١٦ .

(٥) انظر الحلقة السابقة المنشورة في العدد الرابع من هذه المجلة ص ٨٢ ومابعدها .

(٦) انظر المرجع السابق ص ٨٠ ومابعدها، وكذلك ص٨٥ ومابعدها .

٥ - ميجرلين :

وفي بداية السبعينات من القرن الثامن عشر قام اثنان من العلماء الألمان في وقت واحد تقريباً بإنجاز ترجمتين للقرآن اعتماداً على الأصل العربي . أما الترجمة الأولى فقد أنجزها دافيد فريدريش ميجرلين(٧) Megerlin وهو أستاذ من مدينة فرانكفورت(٨) وقد استفاد من غير شك من ترجمات كل من دو ريير وماراتشي وسافاري . ولكنه كان على وجه العموم مستقلاً في ترجمته من النص الأصلي . ولكن مجلة علماء فرانكفورت وصفت عمله هذا بأنه «إنتاج بائس elende Produktion» . ومع ذلك فإن (الأديب الألماني العظيم) جوته قد استخدم هذه الترجمة بالذات كثيراً جداً .

٦ - بويزن :

وبعد ذلك بعام (١٧٧٣) ظهرت الترجمة الثانية للقرآن التي أنجزها فريدريش إبرهارد بويزن(٩) Boysen (. .) ثم صدرت بعد ذلك بعامين الطبعة الثانية المصححة من هذه الترجمة . وتعد ترجمة بويزن أفضل من ترجمة ميجرلين كثيراً جداً . ولكن على الرغم من أن بويزن قد اهتم اهتماماً كبيراً بالجمال الأدبي للقرآن فإنه لم تظهر في ترجمته هذه - التي كانت تميل إلى الحرفية ميلاً كثيراً - الحيوية الباهرة للأصل العربي .

٧ - فال :

وبدلاً من إصدار طبعة ثالثة من ترجمة بويزن للقرآن صدرت عام ١٨٢٨ ترجمة أخرى لصامويل فريدريش جونتر فال Wahl . فقد قام فال بمراجعة ترجمة بويزيه ، وذلك بمقارنتها من جديد بالنص العربي من بدايته إلى نهايته بهدف تصحيح الترجمة . ونتيجة لذلك تغيرت هذه الترجمة تغيراً كبيراً في كل السور ، الأمر الذي يعنى أنه يجب

---

(٧) قارن : أدولف فولفل : ألمانيا والإسلام وتركيا - في مجلة أويفوريون Euphorion رقم ٢٢ لعام ١٩١٥ ص ٢٢٥-٢٢٩ . (هامش للمؤلف) .

(٨) ظهرت هذه الترجمة عام ١٧٧٢ ، وقد استخدمها أديب ألمانيا الشهير جوته ، ومنها بدأ إعجابه واهتمامه بالإسلام . وقد جاء عنوانها على النحو التالي : «الكتاب المقدس التركي أو القرآن ، الترجمة الألمانية الأولى عن الأصل العربي نفسه ، مع بيان ضرورتها وفائدتها ، من عمل م . دافيد فريدريش ميجرلين - فرانكفور الواقعة على نهر الماين» .

(٩) جاء عنوان هذه الترجمة على النحو التالي : «القرآن أو تشريع المسلمين لمحمد ابن عبد الله ، بالإضافة إلى بعض الصلوات القرآنية الاحتفالية - ترجمة عن العربية مباشرة وعلق عليه وفهرسه ونشره فريدريش إبرهارد بويزن بناء على إلحاح (من المهتمين) - مدينة هاله ١٧٧٣» وتقع هذه الترجمة في ٦٨٠ صفحة ، وقد أعيد طبعها مرة أخرى بعد تصحيحها عام ١٧٧٥ .

أن ينظر إليها على أنها ترجمة جديدة تماماً (وليست مجرد مراجعة لترجمة بويزن). وقد قدم فال لهذه الترجمة بمقدمة مسهبة تحدث فيها عن العرب وعن حياة محمد[١٠] .

٨ - أولمان :

وقد تقادمت ترجمة كل من بويزن وفال تماما (أي لم يعد لهما اليوم قيمة علمية ذات بال). وكذلك لم تعد هناك قيمة كبيرة لترجمة أولمان[١١] Ullmann التي كانت قد انتشرت انتشاراً بعيداً. وقد وصفها نولدكه بأنها أقرب ماتكون إلى كونها «عملاً مدرسياً يرثى له».

٩ - جريجول :

أما ترجمة جيريجول[١٢] Grigull فإنها تعد مراجعة وتهذيباً لترجمة أولمان مع الاعتماد اعتماداً كبيراً على ترجمة سيل (الإنجليزية). ولا تعد ترجمة جريجول ترجمة بالمعنى الدقيق، وإنما تريد أن تعبر بصفة خاصة عن الأسلوب الشرقي المتميز أو غير المألوف.

١٠ - هيننج :

أما ترجمة هيننج[١٣] Henning فإنها ترجمة سهلة القراءة وقريبة الفهم إلى الأذهان. ولكن هيننج - كما هو الحال أيضاً بالنسبة لجريجول - لم يتعمق في سر شخصية محمد. وعلى كل حال فإن هاتين الترجمتين تعدان كافيتين لغير المتخصصين[١٤] .

---

(١٠) جاء عنوان هذه الترجمة بالألمانية على النحو التالي : «القرآن أو تشريع المسلمين لمحمد بن عبد الله. ترجمة جديدة من الأصل العربي على أساس الترجمة السابقة لبويزن مع هوامش توضيحية ومقدمة تاريخية وفهرس كامل من عمل صمويل فريدريش جونتر فال - هاله ١٨٢٨».

(١١) نشرت هذه الترجمة عام ١٨٤٠ ثم أعيد طبعها مرات عديدة بعد ذلك. وكان عنوانها : «القرآن - ترجمة جديدة ودقيقة من العربية مع هوامش توضيحية، من عمل ل. أولمان».

(١٢) نشرت هذه الترجمة في هاله بألمانيا عام ١٩٠١ . وقد جاء في العنوان أنها ترجمة جديدة من العربية وأنها أعدت لنشرها في سلسلة «المكتبة الأدبية الشاملة».

(١٣) نشرت هذه الترجمة عام ١٩٠١ في ليبتزيج في السلسلة الشهيرة ركلام Reclam، وقد أعيد طبعها مرات عديدة بعد ذلك وآخر طبعاتها ظهرت منذ بضع سنوات. وعلى الرغم من ظهور العديد من الترجمات الجديدة للقرآن الكريم في اللغة الألمانية فإن ترجمة هيننج لاتزال حتى اليوم من الترجمات الواسعة الانتشار في ألمانيا.

(١٤) بالإضافة إلى الترجمات الألمانية الكاملة المشار إليها للقرآن الكريم توجد هناك الآن ترجمات ألمانية أخرى من بينها ما يأتي :

الترجمات الجزئية في اللغة الألمانية :

١ - روكــرت :

وبالإضافة إلى الترجمات الكاملة للقرآن في اللغة الألمانية توجد هناك أيضاً سلسلة من الترجمات لمختارات من القرآن . ونشير هنا في المقام الأول إلى مختارات فريدريش روكرت (١٥) Rueckert التي ترجع في نشأتها إلى الفترة التي تمتد من عام ١٨٢٤ إلى عام ١٨٤٢ . وقد قام أوجست موللر A. Mueller بنشرها عام ١٨٨٨ .

= (أ) ترجمة المستشرق الألماني الشهير رودي بارت Rudi Paret (توفي منذ بضع سنوات) وعنوانها : Der Koran Uebersetzung وقد ظهرت الطبعة الثالثة من هذه الترجمة في اشتوتجارت بألمانيا عام ١٩٨٣ ، وتقع في حوالي ٥٢١ صفحة . وتعد هذه الترجم اليوم أوسع الترجمات انتشاراً في ألمانيا وفي البلاد الناطقة بالألمانية .

(ب) ترجمة قامت بإنجازها الجماعة الأحمدية في ألمانيا مصحوبة بالنص العربي . وقد ظهرت آخر طبعاتها عام ١٩٨٥ وعنوانها : القرآن المقدس : Der Heilige Qur'an . والجدير بالذكر أن هذه الجماعة تعتبر ميرزا غلام أحمد القادياني نبياً مرسلاً بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ولها نشاط ملحوظ في أوربا وأمريكا .

(جـ) ترجمة قام بإنجازها مولانا صدر الدين وظهرت في برلين عام ١٩٣٩ وقد جاء عنوانها على النحو التالي :
Der Koran. Arabisch-Deutsch. Uebersetzung von Maulana Sadr-ud-Din
وقد جاءت هذه الترجمة مصحوبة أيضاً بالنص العربي ، ولكنها لا تحظى اليوم بالانتشار .

(د) ترجمة قام بإنجازها الأستاذ عادل خوري - وهو عالم لاهوتي ، لبناني الأصل ، يعمل أستاذاً بكلية اللاهوت بجامعة مونستر بألمانيا - بالاشتراك مع السيد/ عبد الله وعنوان الترجمة جاء على النحو التالي :
Der Koran. Uebersetzung von khoury/ Abdullah, Guetersloh 1987.

أما في الإنجليزية فإن الترجمة الإنجليزية الكاملة التي تعد اليوم شبه معتمدة في العالم الإسلامي هي ترجمة عبد الله يوسف علي : The Holy Qur'an وهي ترجمة مصحوبة بالنص العربي . وقد نشرت أول مرة في لاهور عام ١٩٣٤ ثم طبعت بعد ذلك مرات عديدة في بعض البلاد العربية وفي أمريكا .

ولمزيد من المعلومات حول ترجمات القرآن الكريم في شتى لغات العالم نحيل إلى الجهد المشكور الذي قام به الأخ الفاضل الدكتور حسن المعايرجي في هذا الصدد والذي نشر في الدوحة عام ١٩٩٠ تحت العنوان التالي (نحو هيئة عالمية للقرآن الكريم - مدخل وببليوجرافيا) :

Towards An International Society For The Holy Qur'an. Introduction and Bibliography by Dr. Hassan A. Ma, ayergi.

وانظر أيضا للدكتور المعايرجي : ترجمات معاني القرآن باللغات الإفريقية - مجلة المسلم المعاصر العدد ٥٠ - مايو ١٩٨٩ ؛ وكذلك : المحرفون للكلم - الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللغات الأوربية - مجلة المسلم المعاصر العدد ٤٨ - يونيو ١٩٨٧ .

(١٥) فريدريش روكرتَ (١٧٨٨ - ١٨٦٦) مستشرق وشاعر ألماني كبير . ترجم الكثير من الأدبين العربي والفارسي نظما إلى الألمانية . كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعتي إرلانجن وبرلين . ومن بين مترجماته الكثيرة ترجمته لمقامات الحريري (في مجلدين) وقد صنع منها تحفة أدبية رائعة في الأدب الألماني . (موسوعة المستشرقين للدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٢٠٠ - ٢٠٢) .

وعلى الرغم من أن درايتنا التاريخية بالقرآن قد حققت تقدماً كبيراً منـذ ذلك الحين فإن مختارات روكرت قد قدمت لغير المتخصص تصوراً للقرآن أفضل مما قـدمتـه كل الترجمات الألمانية السابقة، فقد كان نقلها للصورة (القـرآنيـة) على وجـه الخصـوص شيئاً رائعاً، كما أن الانطباع الذي يحصل عليه المرء من مضمـون القـرآن ومن الشكل بصفة خاصة يكاد أن يكون ملائماً إلى حد بعيد.

٢ - كلامـروت :

قام مارتين كلامـروت Klamroth بترجمة خمسين سورة من أقـدم السـور القـرآنيـة ترجمة أمينة وماهرة جداً وإن كانت أيضـاً ليست تـرجمة حـرفيـة تمامـاً[١٦] وتتضمن مجموعته عدداً من المقاطع التى لم تتضمنها مختارات روكرت، وقد كان اهتمامه بتقديم ترجمة أدبية أقل من اهتمامه بتقديم ترجمة مفهومة، وأخيرا كان يقصد (من وراء عمله) أن يضع تصـوراً كليـاً عن طـريق الترتيب الـزمني بقـدر الإمكـان، وعن طـريق الملاحظات التاريخية التي أضـافهـا في شكل هـوامش لكل سـورة على حـده، إمـا في البداية أو في وسط الكلام.

ودراسة هذا التصور الكلي تقدم للمؤرخين وعلماء اللاهـوت نظـرة واضحـة عن التطور التكويني لتعاليم محمد. وقد أضاف كلامروت (إلى الترجمة) ملحقاً أراد به أن يخدم الوصول التام إلى ما كان يهدف إليه. ويلخص هذا الملحق على نحو ما المضمون الديني للسور المكية المتأخرة التي لم تؤخذ في الترجمة.

٣ - هامر - بوجشتال :

ومن الترجمات التى تعـد ذات أهميـة أيضـاً تلك الترجمات لبعض مقـاطع القـرآن والتى يجدها المرء في المؤلفات التى تبحث في تـاريخ الأدب العـربي بصفـة عـامـة وفي المؤلفات الكبيرة عن حياة محمد بصفة خاصة. فقد قام - على سبيل المثال - جوزيف فون هامر - برجشتال[١٧] Hammer – Purgstall بنشر ترجمة مسجوعة (من صنعـه)

---

(١٦) نشرت هذه الترجمة في هامبورج عام ١٨٩٠.

(١٧) هامر - برجشتـال (١٧٧٤ - ١٨٥٦) مستشرق نمسـاوي كبير، كـان غـزيـر الإنتـاج ولاسيما في تـاريخ الشرق وآدابه. وقد بلغت مؤلفاته أكثر من مائة مجلد. ومن أهم مصنفـاتـه : تاريخ الدولة العثمانية (في عشرة مجلـدات كبيرة)، وتاريخ الآداب العربية - في سبعة مجلدات.

للسور الأربعين الأخير من القرآن، وذلك في المجلة التى كان يصدرها وهي مجلة «كنوز الشرق» (العدد ٢ - ٤، فيينا ١٨١١-١٨١٤). وصمن كتابه «التاريخ الأدبي للعرب» (مجلد ١ جـ١ ص ٣٩٨-٤٠٦، فيينا ١٨٥٠) ترجمة لخمس وعشرين سورة من السور الأخيرة للقرآن[١٨].

٤ - مختارات أخرى :

وهناك ترجمة للكثير من سور القرآن نجدها لدى موير في كتابه عن حياة محمد (فهرس السور المترجمة - انظر ص ٩٥ ومابعدها لدى شوفان في حديثه عن القران والحديث»[١٩]، وكذلك لدى أشبرنجر بصفة خاصة في كتابه الكبير (عن حياة محمد)، (الفهرس السابق - مجلد ٣ ص ٥٩١-٥٩٩). والسور التي قام اشبرنجر بترجمتها تصل إلى ثلاثة أرباع القرآن تقريباً.

ويقدم لنا هوبرت جريمه في كتابه عن محمد ترجمة لمواضع كثيرة جداً من القرآن (الفهرس السابق - مجلد ٢ ص ١٧٦-١٨٠)[٢٠].

وأما ترجمة هـ. ل. فلايشر[٢١] Fleischer فإنها - للأسف - لم تجد بعد طريقها إلى النشر.

وهناك أيضاً ترجمات ممتازة لبعض المختارات يجدها المرء في المؤلفات المختصة

---

(١٨) الترجمة الحرفية للعبارة المذكورة هي : «ربع المائة الأخير من سور القرآن»، ولعل ذلك يعني السور الخمس والعشرين المكملة للمائة، أي من السورة رقم ٧٦ حتى السورة رقم ١٠٠. وسواء كان ذلك هو المقصود أم أن المقصود هو السور الخمس والعشرين الأخيرة، فإن الأمر يعني على كل حال أنها داخلة ضمن السور الأربعين الأخيرة من القرآن التي سبق أن ترجمها مسجوعة. ولعله أعاد في كتابه الأخير ترجمة السور الخمس والعشرين المقصودة ترجمة عادية غير مسجوعة.

(١٩) وذلك في المجلد العاشر من كتابه : «فهرس المصنفات العربية أو المصنفات المتصلة بالعرب».

(٢٠) راجع حول شوفان واشبرنجر وموير وجريمه كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب - ص ٨٠ ومابعدها، ١٦٠ ومابعدها، ١٦٩ ومابعدها.

(٢١) فلايشر (١٨٠١ - ١٨٨٨) مستشرق ألماني معروف، كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة درسدن ثم أستاذاً للعربية في جامعة ليبتزيج مدة خمسين عاما. أسس الجمعية الشرقية الألمانيه DMG عام ١٨٤٥ وأصدرت هذه الجمعية مجلة باسمها في العام نفسه ZDMG لاتزال تصدر حتي اليوم. يعد من أهم المؤسسين للدراسات العربية المنظمة في ألمانيا. وله دراسات عديدة. ترجم ألف ليلة وليلة في تسعة مجلدات، وأخرج تفسير البيضاوي وزوال الترح في شرح منظومة ابن فرح لابن عبد الهادي المقدسي، ونشر منها مصطلح الحديث بترجمة ألمانية. (المستشرقون للعقيقي جـ٢، ط٤ ص٣٦٢).

بتاريخ الأديان لكل من سودر بلوم(٢٢) وبرتوليت Bertholet وإدوارد ليمان Lehmann وغيرهم (ص ٨٠ ومابعدها).

أمـا عمل بيشـوف Bischoff فإنه يتسم بـالسطحيـة(٢٣) ، وأفضل منـه مختـارات هاردر(٢٤) Harder . وهناك مادة ثرية في ترجمة جيدة نجدها في المجلد الأول من مكتبة الشرق الألمانية "Deutsche Orientbuecherei" .

ترجمـات جزئيـة في الإنجليزيـة :

١ - لـين :

أما مجموعة المختـارات التعليميـة Chrestomathien فإنها تقـدم أيضـاً فهماً عميقـاً للقرآن - وهكذا يقدم لين(٢٥) Lane في ترجمة إنجليزية مجموعة من المواضع الهامـة في القرآن والتي تمثل - إلى حد ما - دين محمد بطريقة مركزة وبكلمات النبي ذاتها . وقـد تم تحديد هذه المختارات حسب موضوعات معينة تنحى فيها جـانبـاً كل الأمـور غير المفهومة ، وتضم قصص أباء بنى إسرائيل - التي تتسلسل بلا حـدود - بعضهـا إلى بعض مستخرجة منها قصة مترابطة الأجزاء . وهكذا يقدم «لين» انطباعاً جيـداً جـداً عن القوى الدافعة للقرآن ، ولكنه لا يقدم نظرة فاحصة في تطور أفكـار محمـد ، وإنما يقدم ترتيباً زمنياً فحسب .

أما كتاب لين - بول Lane - Poole (حفيد لين) عن «أحاديث النبي محمد وأقواله حول المائدة "Table - Tlak" فإنه يقدم تقـريبـاً المادة ذاتها التى تقدمها المختارات . والفرق الوحيد يتمثل في جعلها هنا تتناسب مع أذواق الجماهير العريضة .

٢ - مويـر :

وهنـاك بجـانب مختـارات لين «مقتطفـات من القـرآن» لمويـر(٢٦) Muir . وهـذه

(٢٢) انظر كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٦٨ .

(٢٣) نشرت ترجمة بيشوف في ليبتزيج بألمانيا عام ١٩٠٤ في سلسلة المكتبة الشرقية مجلد ٤ .

(٢٤) نشرت مختارات هاردر في ليبتزيج عام ١٩١٥ .

(٢٥) من الترجمات الألمانية الجزئية التي بدأت في الظهور في الآونة الأخيرة ترجمة إسلامية تصدر في أجزاء منفصلة عن دار نشر بافاريا في ميونيخ بألمانيا ، وقد وصلت حتى الآن إلى مايقارب نصف القرآن . وتعتمد هذه الترجمة بصفة رئيسية على الترجمة الإنجليزية لعبد الله يوسف علي .

(٢٦) إدوارد وليم لين (١٨٠١ - ١٨٧٦) مستشرق إنجليزي ، كان مهتماً بالحضارة المصرية القديمة . قدم إلى مصر عام

المقتطفات ليست شاملة، ولا تشتمل إلا على القليل من الشرح والتوضيح، ولكنها تعطي فقط صورة متحيزة عن تعاليم القرآن، لأنها لا تتحدث إلا عن النقاط التي يمكن مقارنتها بالديانة المسيحية.

٣ - نللينو :

وفي حين أن موير لم يقدم (في مقتطفاته) إلا ترجمة إنجليزية فقط (تكاد تخلو من الشرح والتوضيح) فإن مجموعة المختارات القرآنية الرائعة التى قدمها نللينو(٢٧) Nallino تتضمن هوامش توضيحية تمت فيها مراعاة أحدث البحوث، ومعها فهرس يكشف عن المصطلحات تم إعداده بعناية فائقة.

٤ - رايـــت :

أما كتاب المطالعة العربية الذي أعده ثورنتون Thornton ونيكلسون Nicholson والذي قام رايت Wright بمراجعته ونشره في طبعة جديدة مصحح "Arabic Readign – Book" فإنه يقدم مقتطفات من القرآن مع كشاف للمصطلحات وتحليل نحوي ممتاز.

المعاجم المفهرسة للقرآن الكريم :

١ - في عام ١٨١٢ ظهر في كلكتا معجم مفهرس للقرآن(٢٨)، وقد تم في هذا المعجم

= ١٨٢٥ وأقام بها ثلاث سنوات متزييا بالزي العربي، مصلياً في الجوامع متسمياً باسم منصور أفندي. وقد وجد في حياة المسلمين متعة صرفته عن قدماء المصريين إلى التصنيف في معاصريه، فأتقن العربية، وعاد إلى مصر مرتين وأقام فيها في كل مرة مدة عامين. ومن مؤلفاته : أخلاق وعادات المصريين المعاصرين في مجلدين، وترجم ألف ليلة وليلة، وقام بإعداد معجم عربي إنجليزي في ثمانية أجزاء، وقد نشر حفيده لين - بول الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذا المعجم مع مقدمة وترجمة للمؤلف، وكان الموت قد حال بين لين وبين إصدار هذه الأجزاء الثلاثة. (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص٥٤ ومابعدها). وقد نشرت المختارات القرآنية التي ترجمها لين عام ١٨٤٣ في لندن، وأعاد نشرها عام ١٨٧٩ حفيده لين - بول بعد أن راجعها وقدم لها.

(٢٧) السير وليم موير (١٨١٩ - ١٩٠٥) مستشرق اسكتلندي، صدر كتابه عن «حياة محمد» في أربعة أجزاء في لندن من عام ١٨٥٨ إلى ١٨٦١. وقد نشرت «مقتطفات من القرآن» لموير في لندن عام ١٨٨٠ وأعيد طبعها عام ١٨٨٢.

(٢٨) كارلو ألفونسو نللينو (١٨٧٢ - ١٩٣٨) مستشرق إيطالي كبير. استدعته الجامعة المصرية عام ١٩٠٩ أستاذاً محاضراً في الفلك، ثم أستاذاً في الأدب العربي وتاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام (١٩٢٧ - ١٩٣١). ومن آثاره : منتخبات من القرآن - ليبتزيج ١٨٩٣، وتكوين القبائل العربية قبل الإسلام، وحياة محمد (نشر عام ١٩٤٩ بعد وفاته). وقد تولت كريمته ماريا جمع كتاباته وقام المعهد الشرقي في روما بنشرها في ستة مجلدات : ١

ترتيب الكلمات المفردة للقرآن ترتيباً أبجدياً كما هو معروف في معاجمنا المفهرسة للكتاب المقدس. وعندالإحالة (إلى الموضع المطلوب) اختار المؤلف تقسيماً للقرآن - غير مألوف لدينا وغير مريح - في ثلاثين جزءاً قسمها بدوره إلى فقرات صغيرة رمز إليها بحروف حسب قيمتها العددية. وهذا الرمز لا وجود له في المخطوطات ولا في النسخ المطبوعة (من القرآن). وفضلاً عن ذلك فإن هذا العمل يكتنفه القصور وعدم الدقة.

٢ - وهنا كان الفضل الكبير لفلوجل Fluegel الذي قام بإصلاح هذا المعجم وحوله إلى مؤلف جديد تماماً، فقد رتب الكلمات المفردة حسب أصولها، وقد جعل المؤلف من طبعته الثانية للقرآن أساساً لعمله، وجعل الإحالة إلى السور والآيات مريحة جداً، وراعى أيضاً أقل الفروق بين الكلمات المفردة(٢٩).

٣ - أما معجم كاظم بك(٣٠) فإنه يختلف عن معجم فلوجل (. . .)، ولكن معجم فلوجل أكثر منه اكتمالا وأسهل في الاستخدام بالنسبة لبحوث لغوية معينة.

٤ - وأما المعجم المفهرس الذي صنّفه م. فيض الله (فيضي) بالعربية فإنه يعطي الكلمة الرئيسية للنص مصحوبة بكلمتين أو ثلاث كلمات تسبقها أو تلحقها على نحو ما صنع بوكستورف Buxtorf في معجمه المفهرس للكتاب المقدس. وهذا النظام أفضل من الناحية العملية من معجم فلوجل، ويؤدي بسرعة إلى الهدف. وعلى الرغم من ذلك فإن معجم فلوجل لايمكن الاستغناء عنه.

٥ - أما بيوم La Beaume فإنه يقدم فهرساً منهجياً لأهم مفاهيم القرآن وصيغه

= - العربية الجنوبية، ٢ - العقيدة الإسلامية، ٣ - تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤ - الشرع الإسلامي، ٥ - علم الفلك والتنجيم والجغرافيا، ٦ - الأدب واللغة والفلسفة. وقد استغرق نشر هذه المجلدات الفترة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٨. (المستشرقون للعقيقي جـ١ ص ٤٣٢ ومابعدها).

(٢٩) يعد هذا المعجم أقدم المعاجم المفهرسة المطبوعة للقرآن الكريم. وقد قام بتصنيفه مصطفى بن محمد بعنوان «نجوم الفرقان»، وله مقدمة بالفارسية، وقد أعيد طبعه في مدراس بالهند عام ١٨٧٥ مع ترجمة عربية للمقدمة الفارسية ومعجم للمعاني عربي - هندوستاني. وطبع بعد ذلك عدة مرات.

(٣٠) سبق الحدث عن فلوجل ونشرته العربية للقرآن الكريم ومعجمه المفهرس في الحلقة السابقة (انظر ص ٧٨ من العدد الرابع من هذه المجلة). وقد وضع فلوجل لمعجمه عنواناً عربياً هو «نجوم الفرقان» بالإضافة إلى العنوان اللاتيني.

المعهودة وكلماته[٣١]. ويسبق ذلك مقدمة عن حياة محمد.

٦ - ومن القواميس الخاصة بالقرآن يُعد قاموس فيلميت[٣٢] Willment من القواميس الجيدة جداً وإن كان من الصعب الحصول عليه؛ كما يُعد قاموس بنريس[٣٣] Penrice أيضاً من القواميس القيّمة لما يشتمل عليه من إيضاحات نحوية كثيرة.

٧ - وأما قاموس ديتريصي[٣٤] Dieterici فإنه يعد وسيلة سهلة الاستعمال لإعطاء المعلومات بالنسبة للمبتدئين الذين يريدون أن يقرءوا القرآن، ولكن ملائمته للدراسة الذاتية أقل من ملاءمته للتعليم الأكاديمي.

المداخل إلى القرآن الكريم وتاريخه:

جوستاف فايل:

لقد كان أول مدخل تاريخي نقدي للقرآن من تأليف جوستاف فايل[٣٥] Weil يشكل تكملة طيبة لكتابه عن حياة محمد، ويشتمل القسم الأول (من هذا المدخل) على ترجمة قصيرة لحياة محمد تناول فيها أهم اللحظات في حياته والقسمات الرئيسية لطباعه المحيرة والدوافع الداخلية لسلوكه. أما القسم الثاني فإنه يهتم فقط بالحديث عن القرآن من الجانب الأدبي النقدي. وقد فصل المؤلف القول في تأسيس شكوكه

---

(٣١) عنوان معجم "ميرزا محمد كاظم بك" هو: «مفتاح كنوز القرآن». وكما ورد تحت هذا العنوان فإنه «فهرس كامل للقرآن يحتوى على كل الألفاظ وعبارات النصوص التي ترشد المستشرقين في أبحاثهم عن الدين والتشريع والتاريخ والأدب الموجودة بهذا الكتاب (القرآن) مرتبة بحسب ترتيب حروف الهجاء العربية، ويحتوى على المفاتيح أو الكلمات المرادة في القرآن، مع الاستشهاد بكل المواضع التى استعملت فيها والضرورية في الأبحاث العلمية». وقد طبع هذا المعجم في سان بطرسبرج في مطبعة الأكاديمية الامبراطورية للعلوم عام ١٨٥٩ في ٣٤٣ ورقة. وقد كان كاظم بك أستاذاً في جامعة سان بطرسبرج. (موسوعة المستشرقين ص ٣٠٦).

(٣٢) نشر هذا الفهرس في باريس عام ١٨٧٨.

(٣٣) نشر هذا القاموس في روتردام (هولندا) عام ١٧٨٤.

(٣٤) نشر هذا القاموس في لندن عام ١٨٧٣.

(٣٥) فريدريش ديتريصي (١٨٢١ - ١٩٠٣) مستشرق ألماني غزير الإنتاج، كان أستاذاً في جامعة برلين، عني باللغة العربية وآدابها وبالفلسفة الإسلامية. نشر ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل، وترجم شرح ابن عقيل إلى الألمانية، ونشر ديوان المتنبي ومختارات من رسائل إخوان الصفا، وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي وترجمها إلى الألمانية، ووضع «معجماً عربياً - ألمانيا للقرآن والحيوان والإنسان». وقد نشر هذا المعجم في ليبتزيج بألمانيا عام ١٨٨١، وأعيد طبعه عام ١٨٨٤.

التى كان قد صرح بها من قبل سواء فيما يتعلق بسلامة القرآن أو أصالته(٣٦) . وقد قام فايل - على وجه الخصوص - بوضع ترتيب مستقل تماماً (لم يعتمد فيه على غيره) لسور القرآن، وكذلك لأجزاء هذه السور . ويرى نوالدكه أن القيمة الأساسية لهذا الكتيب الصغير تكمن في هذا العمل .

ومن الأمور الأساسية بصفة خاصة تمييز المؤلف بين ثلاثة مراحل في العصر المكي . وقد كان مرشده الذي خدمه فيما ذهب إليه من تحديدات زمنية متدرجة تلك العلاقات الواضحة والصريحة بالأحداث التاريخية التي كان زمن حدوثها معروفاً من مصادر أخرى للسير، ويضاف إلى ذلك طابع الوحي الذي تحول بعد الهجرة من مكة تحولاً تاماً، وأخيراً أسلوب الوحي .

وأما القسم الثالث (من الكتيب المذكور) فإنه يتضمن نظرات أو تأملات في ماهية الإسلام وتاريخ أهم عقائده، وعلاقته باليهودية والمسيحية، ومستقبله .

مسابقة الأكاديمية الفرنسية :

وفي عام ١٨٥٧ قامت الأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب بإجراء مسابقة في موضوع «تاريخ نقد النص القرآني (وتشتمل على النقاط التالية) : البحث عن التقسيم الأولي للقرآن، والبحث عن طابع الأجزاء المختلفة التي تكونه، والتحديد - بقدر الإمكان - لفترات حياة محمد التي ترجع إليها هذه الأجزاء، وذلك بالاستعانة بالمؤرخين والمفسرين العرب، وتبعاً لفحص الأجزاء أو القطع ذاتها، وعرض التفاصيل التي تنطوي في ثنايا النص القرآني منذ تلاوة محمد حتى الوضع النهائى الذي أعطاه الشكل الذي نعرفه اليوم، وفحص أكثر المخطوطات قدماً لتحديد طبيعة الفروق التي استمرت حتى اليوم في المخطوطات القديمة» .

وقد تقدم إلى هذه المسابقة ثلاثة من العلماء المتخصصين المعدودين بثلاثة بحوث . وقد كان البحث الأول من تأليف ألوز أشبرنجر Sprener ، وأما البحث الثاني فقد

---

(٣٦) جوستاف فايل (١٨٠٨ - ١٨٨٩) مستشرق ألماني، كان أستاذاً للغات الشرقية . ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى الألمانية، ثم توفر على دراسة التاريخ الإسلامي . ومن أهم مؤلفاته : حياة محمد (١٨٤٣)، ومقدمة تاريخية نقدية في القرآن (١٨٤٤)، وتاريخ الخلفاء (في ثلاثة مجلدات)، وتاريخ الخلفاء العباسيين في مصر . (راجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ١٥٥).

كان من تأليف ميشيل أماري Amari ، وكان البحث الثالث من تأليف تيودور نولدكه Noeldeke الذي كان قد نشر قبل ذلك بعام (١٨٥٦) بحثاً باللغة اللاتينية تناول فيه بالبحث أصل القرآن وتركيب السور القرآنية والقرآن ذاته . ولكن هذا البحث لم يتناول إلا المراحل الأولى لتاريخ القرآن، ويكاد أن يكون هذا البحث قد تم دون الرجوع إلى كل المصادر المخطوطة .

ويتفق العلماء الثلاثة على أن ترتيب أجزاء القرآن يتناقض مع الترتيب الزمني . وهذه حقيقة اكتشفها فابل منذ عام ١٨٤٣ ، ويفترض هؤلاء العلماء أن هناك آيات قد تم نقلها من أجزاء إلى أجزاء أخرى[٣٧] . وقد حاولوا بالإضافة إلى ذلك تحديد زمن أهم المواضع في القرآن بناء على الإشارات إلى أحداث مؤكدة في حياة النبي أو بناء على أسلوب الوحي[٣٨] .

نولدكـــه :

وقد قام نولدكه[٣٩] بتنقيح البحث الذي قدمه للحصول على الجائزة الفرنسية ونشره باللغة الألمانية عام ١٨٦٠ تحت عنوان : «تاريخ القرآن» . ويتناول القسم الأول - من هذا الكتاب الكلاسيكي - أصل القرآن . وفيه يتحدث المؤلف أولاً عن نبوة محمد وعن الوحي ، ثم يتحدث بعد ذلك عن أصل الأجزاء المختلفة للقرآن . وهنا يتابع نولدكه سلفه فايل في التمييز بين ثلاثة مراحل في العصر المكي ، ولكن تأسيسه لهذا التمييز كان أكثر عمقاً من عمل فايل ، أما القسم الثاني فيتناول فيه

---

(٣٧) لقد درج الكتّاب الغربيون على أن يتعاملوا مع القرآن كما يتعاملون مع أي كتاب بشري ويبحثون فيه بالمقاييس ذاتها التي يطبقونها على أي كتاب بشري . وهذا أمر مفهوم لأنهم لا يؤمنون أصلاً بالإسلام ولا بالوحي القرآني . ومن هنا لا يصلون إلى فهم حقيقي للقرآن الكريم .

(٣٨) ترتيب آيات القرآن وأجزاءه وسوره كلها أمور توقيفية لا دخل فيها لفكر البشر ، وقد أخذناها عن محمد ﷺ الذي أخذها بدوره عن جبريل رسول الوحي بتوجيه إلهي . وكل ما يفترضه هؤلاء العلماء في هذا الصدد لا يعدو أن يكون رجماً بالغيب ومجرد ظنون لا تغني من الحق شيئا .

ولكن هذا لا يمنعنا من ضرورة التعرف على كل ما يقوله علماء الغرب عن الإسلام حتى نستطيع أن نحصن أبناء المسلمين ضد أي شكوك يثيرها الغرب حول الإسلام ، وإلا كنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال ظناً منها أنها بذلك ستكون بمنجاة من الصياد .

(٣٩) وقد فاز هؤلاء العلماء الثلاثة بجائزة الأكاديمية الفرنسية وتقاسموها بالتساوي وكانت تبلغ أربعة آلاف فرنك فرنسي . (موسوعة المستشرقين ص ٤١٩) .

بالبحث موضوع جمع القرآن، في حين يخصص القسم الثالث للحديث عن تاريخ النص القرآني العثماني.

شفالي :

وبعد ذلك بنصف قرن تقريباً ظهر كتاب نولدكه بعد أن قام فريدريش شفاللي(٤٠) Schwally بإعداده إعداداً جديداً رائعاً. ولم يظهر منه حتى الآن إلا القسمان الأول والثاني(٤١). وقد بذل شفاللي غاية جهده في أن يكون نص الكتاب في القسم الأول متفقاً مع المستوى الحالي للبحث، وذلك بإضافة بعض التعديلات القليلة بقدر الإمكان. ولكن في حالة ما إذا لم تكن هذه الوسيلة مفيدة فإنه يقوم باصلاح النص إصلاحاً تاماً أو يضيف إلى النص إضافات كبيرة.

وعلى الرغم من هذا العمل المحافظ فإن القسم الأول وحده قد زاد عن الأصل قدر خمسة ملازم. وهكذا يتبين من طريقة الإصلاح المشار إليها أنه من غير الممكن أن توصف الاختلافات بين الطبعة الجديدة والطبعة الأولى بأنها اختلافات شكلية. أما القسم الثاني فإنه - على العكس من القسم الأول - لايكاد يتضمن أجزاء جوهرية من النص الأصلي لنولدكه - ومن هنا فإنه في معظمه يمثل جهداً خاصا لشفاللي(٤٢).

موير :

أما العالم موير مؤلف الكتاب الكبير عن سيرة محمد فإنه قد ألف كتاباً عام ١٨٥٥ حول «شهادة القرآن لكل من العهدين القديم والجديد». وقد أعيد طبع هذا الكتاب عام ١٨٦٠. وعندما طلب منه أن يعد الكتاب لطبعة ثالثة قام بكتابة مقدمة تشتمل على وصف للقرآن وللنظام الذي تأسس عليه، وأثرى الكتاب الأصلي ببعض

---

(٤٠) تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) مستشرق ألماني معروف، كان أستاذاً للغات الشرقية في عدد من الجامعات الألمانية، له إنتاج غزير في مجالات التحقيق والترجمة والتأليف في الأدب العربي واللغات السامية والدراسات الإسلامية.

(٤١) فريدريش شلاللى (١٨٦٣ - ١٩١٩) مستشرق ألماني تتلمذ على نولدكه. قام بنشر المحاسن والمساوىء للبيهقي في ثلاثة مجلدات (جيش ١٩٠٢) وعنه طبع في القاهرة؛ اشترك في نشر الطبقات الكبرى لابن سعد (المستشرقون للعقيقي جـ٢ جـ٤ ص ٤١٠).

(٤٢) ظهر هذان القسمان في مجلدين في ليبتزيج (١٩٠٩-١٩١٩). أما الجزء الثالث فقد قام بإتمامه كل من برجشتراسر وبريتسل وطبع في ليبتزيج (١٩٢٦ - ١٩٣٥).

التصحيحات والإضافات(٤٣) . وعلى ذلك فالكتاب في صورته الجديدة ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يشتمل على تصوير مختصر لحياة محمد باعتبار ذلك وسيلة لا غنى عنها لتوضيح القرآن ، كما تناول هذا القسم أيضاً جمع القرآن ، والترتيب التقريبي للسور ، وتعاليم القرآن .

أما القسم الثاني الذي يعرض فيه شهادة القرآن لكل من العهدين القديم والجديد فإنه يتضمن النقاط التالية :

(أ) الآيات التي نزل بها الوحي في مكة .

(ب) الآيات التي نزل بها الوحي في المدينة .

(جـ) النتائج المستخلصة من المواضع المشار إليها .

وقد حاول المؤلف في هذا القسم أن يثبت أن العهدين القديم والجديد كانا موجوين بكثرة في أيدى اليهود والمسيحيين في عصر محمد ، وأن القرآن قد اعترف بهما بوصفهما وحياً من عند الله ، وامتدحهما وكان يعتمد عليهما كثيراً ، ويطلب اتباع ما جاء فيهما . . . إلخ(٤٤) .

اشبرنجر :

وقد خصص اشبرنجر أيضاً فصلاً مسهباً عن القرآن في كتابه عن حياة محمد (مجلد ٣ ص ١٨ - ٥٤ بالترقيم الروماني» . وقد ميّز اشبرنجر في هذا الفصل تمييزاً قاطعاً بين الوحي المكي والوحي المدني ، وقدم تاريخاً موجزاً لجمع نصوص القرآن .

جريمه :

وكذلك يشتمل كتاب جريمه Grimme عن محمد على مقدمة عن القرآن ، وفيها

---

(٤٣) على سبيل التكملة للقسم الثاني لشفاللي - فصل ٦ د(ص ٦٣ - ٦٨) يراجع : هانز باور Bauer : حول ترتيب السور والحروف المبهمة في القرآن - في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ٧٥ لعام ١٩٢١ من ص ١-٢٠ . (هامش للمؤلف) .

(٤٤) سبق التعريف بالسير وليم موير عند الحديث عن الترجمات الجزئية الإنجليزية للقرآن الكريم . وأما كتابه المذكور هنا فقد صدرت منه الطبعة الجديدة المشار إليها في لندن عام ١٨٧٨ ، وأعيد طبعه بعد ذلك في حياته عدة مرات كان آخرها عام ١٩٠٣ ، أي قبل وفاته بعامين .

يتناول تاريخ نشأة القرآن، وشكل السور المختلفة وتسلسلها الزمني.

بـــول :

وأخيراً يقدم فـرانتس بـول Buhl في كتابه الممتـاز عن حيـاة محمـد عـرضـاً رائعـاً للمصادر (التى يستقي منها تاريخ) حياة محمد. ومن بين هذه المصادر يأتى القـرآن في المقام الأول.

بحوث متفرقة حول القرآن :

وبجانب الكتب الكبيرة في السيرة (ص ١٦٤ ومابعدها) نجد بحوثاً مطـولـة عن القرآن تشتمل عليها المؤلفات التى تعرض الإسلام (ص ٦٠ ومابعدها)، وتـرجمات القرآن (ص ٢٠٨ ومابعدها)، وكتب تاريخ الأدب العربي (ص ٣٩٣ ومابعـدهـا)، وتاريخ الأديان (ص ٧٧ ومـابعـدهـا)، ودوائر المعـارف العـامـة، ودائرة المعـارف الإسلامية (ص ١٥ ومابعدها).

ومن بين المقالات المنشورة في هـذه الـدوائر الموسـوعيـة نشير بـوجـه خـاص إلى المقالات المطولة عن القـرآن التي كتبهـا كل من : أوجست مـوللـر في دائرة المعـارف العامة للعلوم والفنـون، وإرش Ersch وجروبر Gruber ونولدكه وشفـاللي في دائرة المعارف البريطانية. وهذه المقالة الأخيرة لكل من نولدكه وشفاللي قد أعيد النظر فيها ونشرت أيضاً بالألمانية في كتاب نولـدكـه «لمحـات شرقيـة Orientalische Skizzen» (برلين ١٨٩٢).

وقد قام شفاللي بتقديم تكملة للمقالة الأخيرة في مقالته «تأمـلات حـول جمع أبى بكر للقرآن» المنشورة في الكتاب التذكاري لإدوارد ساخـاو (بـرلين ١٩١٤). وبنـاء على ماجاء في هذه المقالة فإن أبا بكر لم يقم بجمع القرآن بالمعنى المأثور على الإطلاق. فالمعلومات عن نشأة جمع أبى بكر للقرآن لا تتفق مع هـذا الـرأي (القـائل بجمع أبى بكر للقرآن) لا بوصفها رأياً خاصاً ولا بوصفها وثيقة رسمية[٤٥].

(٤٥) لقد اعترف القرآن الكريم بالأصل الموحي به من عند الله لكل من التوراة والإنجيل، فقد نزلتـا في الأصل وفيهما هدى ونور كما يقول القرآن الكريم في ذلك «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور»(المائدة ٤٤؛ «وآتينـاه الإنجيل فيـه هدى ونور» (المائدة ٤٦).

وفي زمن متأخر بعد ذلك كان هناك دافع لأن يقوم رجل ضئيل القدر - كان عرضة لكثير من الهجوم - مثل عثمان بمثل هذه الخدمة العظيمة. وهذه الخدمة مشهود بها جيداً من ناحية أنها لا تقبل الجدل، ومن ناحية أخرى بدا أنه من غير المعقول أن سلفي عثمان (أبا بكر وعمر) - اللذين يفوقانه بمراحل - لم يشتركا في عمل هام كهذا العمل بالنسبة للإسلام. وبتأثير من مثل هذه الاعتبارات تكوّن هناك رأي يذهب إلى أن أبا بكر وعمر قد قاما في السابق بجمع للقرآن، وأنهما بذلك قد وضعا الأساس لنسخة عثمان.

ومن بين المؤلفات التي خصصت لموضوع القرآن نشير أيضاً إلى المؤلفات التالية: القسم الرئيسي من الدراسة التي تتسم بالطابع الفلسفي أكثر مما تتسم بالطابع التاريخي والتي كتبها بارتيلمي سانت هيلير(٤٦) Barthelemy Saint – Hilaire. وتتكون هذه الدراسة من مقالات نشرها المؤلف في عامي ١٨٦٣/ ١٨٦٤ في «أعمال أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية» و «جريدة العلماء» Journal des Savants.

وقد قدم في هذه المقالات مناقشة لمؤلفات أشبرنجر وموير وكوسان دي برسيفال. وقد أعيد النظر في هذه المقالات وتم تفصيل القول فيها في كثير من النقاط، وزيادة على ذلك تشتمل هذه المقالات على المضمون الرئيسي لتاريخ النبي - الذي جاء على غرار «سيرة الرسول» -، ومقتطفات من القرآن بالإضافة إلى مقدمة.

وقد كان الهدف (الذي يرمى إليه المؤلف) هو أن يجعل المذهب المحمدي يأخذ مكانه الصحيح في تاريخ الأديان، ويبين أيضاً أهميته السياسية في الوقت الراهن.

أما مقالة ستانلي لين - بول(٤٧) التي نشرها في Edinbugh Review (المجلد ١٥٤

= ولكن القرآن قد كشف ما طرأ عليهما بعد ذلك من تحريف وتبديل بأيدى البشر. وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين هذا التحريف. وإنه لأمر غريب أن يتجاهل موير هذه الآيات الكثيرة التي لا تخفى على أحد ويزعم أن القرآن قد اعتمد عليهما بالصورة التي كانا معروفين بها آنذاك وهي تلك الصورة التي طعن فيها القرآن.

(٤٦) لقد نقض شفالي هذا الرأي بعد ذلك كما يتضح من السطور التالية. أما وصفه بعد ذلك لعثمان رضى الله عنه بأنه كان رجلاً ضئيل القدر فهذا أمر مخالف للواقع تماما. فقد كان عثمان أحد كبار الصحابة المعدودين المبشرين بالجنة، وقد بويع خليفة للمسلمين بعد عمر رضى الله عنه تقديراً لفضله وكفاءته.

(٤٧) بارتيلمي سانت هيلير (١٨٠٥ - ١٨٩٥) كاتب سياسي له بحوث في أديان الشرق منها كتابه عن «بوذا الهندي»(١٨٥٩). أما المقالات التي يشير إليها بفانمولار أعلاه فقد أصدرها بارتيلمي سانت هيلير في كتاب بعنوان: «محمد والقرآن» عام ١٨٦٥: Mahomet et le Coran. Paris 1865

لعام ١٨٨١ ص ٣٥٦-٣٩٧) فقد توسع فيها ورسم صورة لنشأة القرآن وللتسلسل الزمني لأجزاءه المختلفة مترسماً خطى نولدكه. وفي حين يميز أو يفضل كتاب الدين فإنه يذهب إلى القول بأن الدين لم ينبثق من الكتاب إلا بطريق غير مباشر جداً. وينظر إلى القرآن على أنه في المقام الأول كتاب إنسان، بمعنى أنه ليس كتاباً تشريعياً، وأيضاً ليس نظاماً دينياً، وإنما هو شيء أسمى من ذلك بكثير، إنه صرخة قلب، ولكنه قلب أثار بكفاحه هذا العالم(٤٨).

أما كلير - تسدالز Clair - Tisdalls الذي كان يعمل مبشراً في إيران - فإن كتابه يُعد تعديلاً لكتاب قديم كان قد ألفه بالفارسية. وقد عرف هذا الكتاب عن طريق بعض الاقتباسات التي اقتبسها منه موير بالإنجليزية في كتابه ١٩٠١ The Sources of Islam Edinturgh.

وقد تناول كلير - تسدالز في كتابه(٤٩) التأثيرات (الخارجية على الإسلام والمتمثلة في) عالم التصورات العربية القديمة، والصائبة، واليهودية، والمسيحية، ودين زرادشت، وأخيراً نزعة الحنفاء. والكتاب في تفاصيله يتسم بطابع غير نقدي وقابل للطعن(٥٠)، ولكنه نجح في نقل الاقتباسات من الكتب المسيحية غير المعتمدة (الكتب الأبوكروفية) بوضوح لا نظير له.

أما إدوارد سل Sell فإنه يحذو حذو نولدكه ويقدم لنا تقسيماً تاريخياً للسور (مرتبطاً) باللحظات المصيرية في حياة النبي. وعلى الرغم من عدم معرفة المؤلف

---

(٤٨) ستانلي لين-بول (١٨٣٢ - ١٨٩٥) كان عالماً في الآثار المصرية. عين حافظاً للنقود في المتحف البريطاني وظل في هذا المنصب حتى وفاته. ومن مؤلفاته : فهرس النقود الشرقية في المتحف البريطاني في عشرة أجزاء (لندن ١٨٧٥ - ١٨٩٠) - (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص ١٦٤).

(٤٩) لعله يريد أن يقول إن شخص محمد ﷺ كان الشعلة المتوهجة التي انبثق منها الدين بطريق مباشر ثم من الكتاب (القرآن) بطريق غير مباشر. وهذا الرأي مهما كانت دوافعه خالف للواقع الإسلامي ولما هو معلوم من هذا الدين بالضرورة. محمد ﷺ كان تجسيداً حقيقياً للقرآن الكريم أو كما قيل قرآناً يمشي على الأرض. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : كان خُلُقُهُ القرآن. وقد قام الدين الإسلامي أساساً على الوحي القرآني وانبثق منه فلا انفصام بينهما. ومحمد ﷺ هو رسول الله الذي بلغ هذا الوحي للناس : «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» (المائدة ٦٧).

وبصرف النظر عن ذلك كله فإن الفكرة الأساسية التي ينطلق منها ستانلي لين - بول هي أن القرآن كتاب بشري وليس وحياً سماوياً. ومن هنا كانت النتائج الخاطئة التي انتهى إليها.

(٥٠) ظهر هذا الكتاب في لندن عام ١٩٠٥ بعنوان : The Original Sources of The Qur'an.

بكتب التفسير العربية والمصادر التاريخية، وعلى الرغم من أنه من الواضح أنه لم يستخدم النص القرآني إلا في ترجمة من الترجمات - على الرغم من ذلك كله فإن الكتاب لا بأس به(٥١) .

والحق أن أفضل البحوث الشاملة عن القرآن مع بيانات غنية بالمراجع قد جاءت متضمنة في «قاموس الشريعة الإسلامية»(٥٢) لمؤلفه يونبول Th. W. Juynboll . والمؤلف يتناول في الفقرة الأولى من الفصل المتعلق بالقرآن كلمة قرآن ومضمونها . أما الفصل الثاني فإنه يبحث فيه تدوين القرآن وتقسيم النص . وفي الفصل الثالث يتحدث عن تفسير القرآن وعن كتب التفسير .

تفسير القرآن :

لقد تكوّن لدى المحمديين بمرور الزمن علم خاص بتفسير القرآن هو علم التفسير . وقد كان هذا العلم في البداية يُعد جزءاً فقط من العلم العام في الحديث والفقه، ولكنه تحرر فيما بعد (من هذه التبعية)، ومن القرن الثاني الهجري فصاعداً أنتج المفسرون كماً هائلاً من المؤلفات . ويعد ابن عباس أباً لهذا العلم . ولكن ابن عباس - وهو ابن عم النبي - قد أساء استخدامه لأهداف مغرضة، وبذلك وجهه منذ البداية وجهة خاطئة(٥٣) .

تفسير الطبري :

ويعد التفسير الكبير للطبري أشمل كتب التفسير القديمة، وقد استخدمه المتأخرون إلى حد بعيد . ويمثل الطبري في شخصه ذروة العلم الإسلامي القديم كله، وقد منحه الله حياة طويلة أنجز في النصف الأول منها التفسير كله : فكان تارة يكتب، وتارة أخرى يتشبع بالمادة الحية للمأثور . وقد زار كل مراكز الحياة العقلية من فارس إلى مصر الواحد تلو الآخر، واستقر آخر الأمر في بغداد لكي يمنح النصف الثاني من حياته للتعليم والتأليف .

---

(٥١) هذا التعقيب من جانب بفانمولر يغنينا عن التعليق .

(٥٢) ظهر كتاب إدوارد سل في لندن عام ١٩٠٥ بعنوان : التطور التاريخي للقرآن Historical Development of the Quran .

(٥٣) ظهر هذا القاموس عام ١٩١٠ في ليدن وليتبزيج بعنوان : Handbuch desislamischen Gesetze 5 .

وقـد بلغ الطبري في علمـه درجـة من الشمــول والكمال - في القــرآن والحديث والتاريخ والفقه واللغة العربية وآدابها - لم يبلغها أحد أبـداً، وربما لم يـوجـد لها نظير على الإطلاق.

وأهم الأعمال التى خلفها لنـا الطبري تتمثل في عملين هما التفسير والتـاريخ وقـد حاول للمرة الأولى المستشرق لوث(٥٤) Loth - الذي رحل عن عالمنا مبكراً للأسف -

---

(٥٤) عبد الله بن عباس: ابن عم رسول الله ﷺ. وقد كان عمره عند وفاة الرسول ثلاثـة عشر عـامـاً أو خمسة عشر، توفي عام ٦٨ هـ عن سبعين عاما، مات ودفن بالطائف وتولى وضعه في قبره محمد بن الحنفية، وقال بعد أن سوى عليه التراب: «مات والله حبر هذه الأمـة». وكـان ابن عبـاس مشهـوراً بكثـرة علمـه وعلى درجـة عظيمـة من الاجتهاد والمعرفة بما في كتاب الله، ولذا انتهت إليه الرياسة في الفتوى والتفسير. وكان عمر رضى الله عنـه يعتـد برأيه رغم حداثة سنه. وقد قال فيه ابن عمر: «ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد».

ويرجع السبب في نبوغه إلى نشأته في بيت النبوة ولزومه كبار الصحابة بعد وفاة النبي يأخذ عنهم ويروى لهم، كما كان حجة في العربية. وفضلاً عن ذلك كله فإن النبي ﷺ قد دعا له بأن يعلمـه الله الكتـاب والحكمـة ويفقهـه في الدين ويعلمه التأويل. وكان الصحابة يقدرون ابن عباس ويثقون في تفسيره. وقد أثنى عليه علي رضى الله عنـه في تفسيره بقوله: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق». وقد وجد هذا التصوير صداه لـدى التـابعين. وكـانت هناك مدرسة بمكة يتلقى تلاميذها التفسير عن ابن عباس. وكان ابن عباس يرجع في فهم معـانى القـرآن إلى مـا سمعه عن الرسول ﷺ مع نظر واجتهاد ومعرفة بأسباب النزول. وكان يـرجع إلى أهل الكتـاب في المواضع التي أجملت في القرآن، ولكن في دائرة محدودة ضيقة وبما يتفق مع الشريعة.

وقد اتهم جولـدتسهير في كتـابـه «مـذاهب التفسير الإسلامي للقـرآن» - ابن عبـاس بأنـه أخـذ الكثير من أهل الكتاب، وأن الصبغة اليهودية قد صبغت مدارس التفسير القديمة، وبخاصة مدرسة ابن عباس بسبب اتصـالهم بمن دخل في الإسلام من أهل الكتاب رغم نهى الرسول عن الأخذ منهم وعدم تصديقهم أو تكذيبهم: فقد قال ﷺ: «لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»(فتح الباري ٨/ ٢٠ المطبعة السلفية).

والحق أن ابن عباس كان يسأل علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فيما لايتصل بالعقيـدة، وإنما فيما يتصل ببعض القصص والأخبار الماضية، وحتى هذا لم يكن كله يؤخذ على علاته. وقد نهى ابن عبـاس نفسـه عن التـوسع في الأخذ من بني إسرائيل. فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قـال: «يـامعشر المسلمين: تسألـون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بـالله تقـرءونـه لم يشب، وقـد حـدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله».

وكان ابن عباس يرجع في تفسيره في فهم معانى الألفاظ الغريبة في القرآن إلى الشعـر الجاهلي، وقيل عنـه إنـه هـو الذي ابتدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن.

وقد روى عن ابن عباس في التفسير ما لايحصى كثره، وتعددت الروايـات عنـه واختلفت طـرقهـا. وقـد حصر العلماء هذه الطرق في تسعة أصحها وأجودها طريق معـاويـة بن صـالح عن علي بن أبى طلحـة عن ابن عبـاس، وأوهاها طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس.

وهناك تفسير مطبوع منسوب لابن عباس بعنوان (تنوير المقابس من تفسير ابن عباس) جمعه أبو طـاهـر محمـد بن

حاول إخراج الكتاب الأول، فنظر فيه وعرض ثلاثة نماذج. وهناك نظرة مكتملة عن أثر الطبي بوصفه عالماً ومؤلفاً ومعلماً يقدمها لنا ابن عساكر في فصل مطول من كتابه الكبير عن دمشق، وقد قدم لنا جولد تسيهر بعرض المقتطفات من هذا الفصل.

وقد كتب كذلك (المستشرق الهولندي) دي جوييه M. J. De Goeje مقابلة مطولة عن الطبري وقدامى المؤرخين العرب في دائرة المعارف البريطانية (٢٣-٩، ١٨٨٨ ص ٥٠١). ولكن هارسلاتير Haussleiter هو أول من جعل التفسير الكبير للطبري ميسور الاستعمال عن طريق الفهرس الرائع الذي قام بإنجازه.

تفسير الزمخشري:

أما تفسير الزمخشري فإنه يُعد عملاً ممتازاً في مجال الجدل النظري والبياني. ويشتمل على بحوث ثرية ودقيقة حول أمور لغوية ودينية لم تخطر على بال محمد(٥٥). ومن الطبيعي - والحال كذلك - ألا يكون هناك مكان في هذا التفسير للإيضاح البسيط للكلمات والمعاني أو بيان الظروف التاريخية للوحي في كل موضع على حدة - وعلى الرغم من ذلك فإن تفسير الزمخشري سرعان ما حظي بشهرة واسعة، وزاحم التفاسير السابقة مع أن الزمخشري لم يكن أصولياً، بل كان منتمياً للمذهب المعتزلي.

تفسير البيضاوي:

وقد استخدم البيضاوي في تفسيره تفسير الزمخشري إلى حد بعيد، ولكنه أضاف إلى ذلك أيضا مادة غزيرة من مصادر أخرى. وقد أخرج فلايشر Fleischer تفسير

يعقوب الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت (دون تاريخ). وروي عن ابن عباس في هذا الكتاب يدور على محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وقد أشرنا إلى أن طريق محمد بن السائب الكلبي أوهى الطرق وأضعفها. وقد روي عن الشافعي أنه قال: «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث».

وهكذا كثر الوضع والاختلاق على ابن عباس. ولكن ليس معنى ذلك أن كل ما نسب إلى ابن عباش في التفسير لا قيمة له من الناحية العلمية، وإنما الشيء الذي لا قيمة له هو نسبته إلى ابن عباس. والسر في كثرة الوضع على ابن عباس هو أنه كان من بيت النبوة، والوضع عليه يكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وضع على غيره. (راجع: التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي جـ١ ص ٦٥-٨٣ دار الكتب الحديثة ١٩٧٦).

(٥٥) أو لوث O. Loth (١٨٤٤ - ١٨٨١) مستشرق ألماني، تتلمذ على فلايشر في ليبتزيج وحصل على درجة الأستاذية برسالته عن ابن سعد، وله بحوث عن الكندي وابن المعتز والطبقات لابن سعد. (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ص ٣٨٦).

البيضاوي وبذل فيه قصارى جهده بما له من معرفة لغوية رائعة . ويُعد هذا التفسير اليوم لدى السنيين أفضل التفاسير ويكاد أن يكون مقدساً(٥٦) .

ويمتاز تفسير البيضاوي بأنه مختصر وشامل، ويحتوي على مادة غزيرة، ولكنه ليس دقيقاً، وليس وافياً لأي من التخصصات التي وضعها في اعتباره . وفي هذا التفسير تظهر الآراء الأشعرية في مقابل آراء الزمخشري المعتزلي على الرغم من أن البيضاوي قد اعتمد على الزمخشري اعتماداً تاماً .

وقد قدم لنا مرجليوث(٥٧) مختارات ممتازة من تفسير البيضاوي، وهي لا تُعد فقط مدخلاً جيداً لنقد القرآن، وإنما تُعد أيضاً بصفة خاصة مدخلاً إلى التاريخ المبكر للعقائد الإسلامية وتطور الفرق المختلفة . وقد اختار مرجليوث السورة الثالثة لما لها من أهمية بالغة من وجهة النظر الدينية والجدلية والتاريخية . وتعد ترجمة مرجليوث للنص ترجمة أصيلة وواضحة . ويتضح من المدخل والهوامش المختلفة تمكن مرجليوث جيداً من المراجع الوفيرة لتراث المسلمين في الحديث والنحو وعلم الكلام .

وقد قدم لنا فل Fell فهرساً متقناً ودقيقاً جداً لتفسير البيضاوي وقد جاء هذا الفهرس أو الدليل موفقاً غاية التوفيق بالنظر إلى ما يشتمل عليه تفسير البيضاوي من كم هائل من الملاحظات الممتازة حول التعاليم العقدية والأخلاقية للقرآن، وحول الطرق العلمية لتفسير النصوص والتفسير اللغوي، وحول القواعد النحوية والاشتقاق .

تفسير السيوطي :

ومن التفاسير الميسرة كثيرة التداول تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي . وأفضل نظرة إجمالية على كتب التفاسير نجدها لدى السيوطي في كتابه تفسير القرآن وكتابه «الإتقان» الذي يُعد بمثابة مقدمة أو مدخل إلى القرآن .

---

(٥٦) لم يكن محمد ﷺ في حاجة إلى مثل هذه البحوث لأنه كان أعلم الناس بالوحي الذي ينزل عليه، أما نحن فإننا في حاجة إلى إعمال الفكر وكد الذهن حتى نستطيع أن نفهم النصوص القرآنية وندرك ما ترمي إليه من أهداف . ومن هنا تعددت تفاسير القرآن وتنوعت أساليبها ومناهجها .

(٥٧) الإسلام لا يضفي أي لون من ألوان القداسة على أي عمل بشري مهما بلغت درجته من الكمال . وتفسير البيضاوي جهد بشري يشكر صاحبه عليه، ولكن ليس معنى ذلك أنه معصوم . فهو في النهاية بشر يخطئ ويصيب، والكمال لله وحده .

ومما يؤسف له أن المؤلف قد توفى قبل أن يتمكن من إتمام كتابه الأول[٥٨] . وكثيراً ما نجد اسم مفسر من المفسرين (في مخطوط من المخطوطات) وبعده مكان خال في المخطوط . وقد فصل جولد تسيهر بصفة خاصة القول في تقدير التأثير الأدبي للسيوطي .

جولد تسيهر وتاريخ التفسير :

ويقدم لنا جولد تسهير نظرة ممتازة على تاريخ التفسير العربي للقرآن في محاضراته التي ألقاها في جامعة أوبسالا Upsala (بالسويد) . والتي ترجمها (المستشرق السويدي المعروف) تور أندريه إلى السويدية من مخطوط المؤلف . وقد نشرت هذه المحاضرات بالألمانية أيضاً[٥٩] .

ويميز جولد تسهير بين مراحل مختلفة لتفسير القرآن . فقد كان هناك (في البداية) عصر المرحلة الساذجة لتفسير القرآن . وقد أعقب هذه المرحلة عصر التفسير بالمأثور (ابن عباس والطبري) . ومع التفسير التقليدي ظهر العقليون الذين راحوا يؤسسون التفسير الاعتقادي للقرآن (على أسس عقلية) مثل الزمخشري .

وقد كان للتصوف أيضاً تفسير خاص للقرآن (الغزالي وابن عربي) . وهناك عامل ثالث من عوامل التفسير المذهبي للقرآن يتمثل في تفسير أصحاب الفرق . وفي الفصل

---

(٥٨) د . س . مرجليوث Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠) مستشرق إنجليزي معروف، كان أستاذاً للعربية في جامعة أكسفورد، وله دراسات عديدة عن الإسلام وتاريخه والأدب العربي وأصوله . وقد اعتمد الدكتور طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي» على بحث مرجليوث «أصول الشعر العربي» (١٩٢٥) .

(٥٩) جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ولد عام ٨٤٩ هـ) قال عن نفسه إنه رزق التبحر في سبعة علوم هي التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبديع والبيان، وأنه بلغ في هذه العلوم مبلغاً لم يصل إليه أحد من أشياخه فضلاً عمن دونهم . وتفسير السيوطي المعروف باسم (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) تفسير مطبوع في ستة مجلدات كبيرة، وبهامشه تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . (دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت) .

وفي مقدمة هذا الكتاب يشير السيوطي إلى أن تفسير «الدر المنثور» اختصار لكتاب آخر هو كتاب «ترجمان القرآن» . ونص عبارته جاء على النحو التالي : «فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله، فلخصت فيه هذا المختصر مقتصراً فيه على متن الأثر مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب يعتبر، وسميته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور» (جـ١ ص٢) . وقد انتهى المؤلف من تبييضه = كما جاء في نهاية المجلد السادس - يوم عيد الفطر سنة ٨٩٨ هـ . وهذا يتناقض مع ما يقوله بفانمولر أعلاه من أن السيوطي قد توفي قبل أن يتمكن من إتمام كتابه في التفسير .

الختامي من كتابه يتحدث جولد تسيهر عن الاتجاه الحديث في الإسلام وتفسيره للقرآن. (سيد أمير علي)(٦٠).

بحوث متفرقة حول التفسير :

وليس لدينا للأسف – حتى الآن – تفسير مفصل للقرآن في لغة أوربية، لا يكتفي فقط بمجرد نقل آراء المفسرين العرب حول القرآن، وإنما يقدم المعنى التاريخي الحقيقي لكلمات القرآن كما فهمها محمد.

تشتمل ترجمات القرآن على إسهامات قيمة لتفسير القرآن، وبصفة خاصة ترجمة كل من ماراتشي وسيل. وقد أعاد Wherry طبع ترجمة سيل وأضاف إليها بعض الهوامش الجدلية. وتشتمل (على مثل هذه الإسهامات) أيضاً المؤلفات الكبرى في سيرة محمد، وبخاصة مؤلفات اشبرنجر وموير وجريمه (ص ١٧٩ ومابعدها)، والمختارات القرآنية (ص ٢١٩)، وتاريخ القرآن لنولدكه – شفالى (ص ٢٢٢)، ومقالات في تفسير القرآن لهارتفيج هرشفيل H. Hirschfeld (ص ١٠٢ ومابعدهما).

أما كتاب باوتس Pautz «نظرية محمد في الوحي»(٦١) فإنه يقدم تفسيراً لغوياً وموضوعياً رائعاً لكل المواضع الهامة تقريباً في القرآن. وعلى من يريد أن يقرأ القرآن في النص الأصلي، ويترجمه ترجمة سليمة، ويفهمه فهماً حقيقياً، أن يبدأ بصفة خاصة بدراسة هذا الكتاب.

جهود جزئية لتفسير القرآن :

وهناك بطبيعة الحال إسهامات جزئية كثيرة لتفسير القرآن. ونحن نبرز فقط من

---

(٦٠) لقد ترجم كتاب جولدتسيهر عن مذاهب التفسير إلى العربية تحت عنوان (تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى)، وكان نشره بالألمانية أول مرة عام ١٩٢٠ تحت عنوان :

Die Richtungen der Islamischen Koranaulegung. Leiden 1920

وحول جولدتسيهر وتور أندريه يراجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب. صفحات ٣٦-٤١، ١٠٥-١١١، ١٨٦.

(٦١) سيد أمير علي : كاتب هندي مسلم توفى عام ١٩٢٨. كان من كبار الموظفين الهنود ومن قضاة المحكمة العليا في البنغال. ومن مؤلفاته بالإنجليزية : حياة محمد وتعاليمه أو روح الإسلام (لندن ١٨٧٣). وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية أمين محمود الشريف تحت عنوان : روح الإسلام (القاهرة ١٩٦١). وله أيضاً : أخلاق الإسلام (كلكتا ١٨٩٤)، والإسلام (لندن ١٩٠٦)، والإسلام ونقاده. (راجع كتابنا : الإسلام في تصورات الغرب ص ٦٢).

بينها الأعمال الهامة التالية :

موللـــر :

يحاول د. هـ. موللر[٦٢] Mueller إثبات (وجود) القواعد الأساسية للشعر السامي القديم في الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) والكتابات المسمارية والقرآن. ويعتقد أنه قد اكتشف في القرآن مقاطع شعرية بجانب الشكل الفني للسجع. وقد أخذ النبي بناء المقاطع الشعرية من معلميه اليهود والنصارى، وتعمد إخفاء ذلك عن أتباعه، وغطى ذلك بالكثير من عدم التناسب في التفاصيل لكي يعلي من إثارة الوحي المعجز[٦٣] .

فوللـــرز :

أما فوللرز Vollers فإنه قد اختار أصعب المشكلات في علم القرآن موضوعاً لكتابه[٦٤] ، وحاول بما يتمتع به من علم غزير أن يثبت أن القرآن قد تم تأليفه في الأصل بلهجة مكة، ثم بعد ذلك تمت صياغته في لغة النثر العربي القديم[٦٥] .

وتشكل مقالة جاير Geyer حول «آيات القرآن» تكملة لهذا الموضوع. وقد كان لنولدكه أيضاً رأي في هذه القضية الصعبة في بحثه «مقالات جديدة فيعلم اللغات السامية».

د. فـــوراك :

أما دفوراك Dvorak فإنه قد تناول في بحثه الكلمات الأجنبية في القرآن، أو بمعنى

---

(٦٢) راجع الحلقة السابقة ص ٥٧ ومابعدها من العدد الرابع من هذه المجلة.

(٦٣) د. هـ. موللر (١٨٤٦ - ١٩١٢) مستشرق نمساوي. كان أستاذاً للغات السامية بجامعة فيينا. نشر عدداً من المؤلفات العربية، وترجم وشرح بعضها، واشترك في نشر تفسير الطبري. وكتابه الذي يعتمد عليه بفانموللر هنا هو كتاب : «الأنبياء في صورتهم الأصلية» الذي صدر في مجلدين في فيينا عام ١٨٩٥ .

(٦٤) إذا كانت هذه المزاعم التى يرددها موللر صحيحة فكيف سكت اليهود والنصارى حينذاك عن مواجهة محمد ﷺ بها؟ ولماذا لم يخبروا مشركي مكة بخبرها؟ لقد كان خصوم محمد يحاربونه بشتى الوسائل، فلماذا سكت الجميع عن الإعلان عن هذا «الاكتشاف الخطير» الذي يزعم موللر أنه قد اكتشفه الآن؟ إن هناك تفسيراً واحداً فقط لذلك وهو أنه زعم موللر زعم باطل تماما، ويعد من قبيل السخافات التي لم يسمح خصوم محمد لأنفسهم حينذاك بأن يورطوا أنفسهم فيها حتى لا يكونون عرضة للسخرية.

(٦٥) صدر هذا الكتاب عام ١٩٠٦ في اشتراسبورج تحت عنوان : اللغة الدارجة والعامية في بلاد العرب قديماً.

أصح بعض الكلمات الأجنبية في القرآن(٦٦) . والبحث ينم عن اجتهاد كبير ومعرفة جيدة باللغة العربية . ولكنه - للأسف - لا يقدم كسباً للعلم إلا في أقل القليل . فالمؤلف - كما يرى نولدكه - قليل المعرفة بالآرامية والفارسية .

هوارت :

ويعتقد هوارت Huart أنه قد توصل إلى نتيجة مؤداها أن شعر الحنفاء قبل الإسلام، وبصفة خاصة شعر أمية (بن أبى الصلت) يُعد أحد منابع القرآن. ولكن هذا الرأي لم يجد قبولاً إلا لدى قلة قليلة(٦٧) .

جريمه :

وقد قرر جريمه Grimme أن القرآن له وجه مزدوج(٦٨) : التجاه المكي لتعاليم القرآن - وقد كان هذا الاتجاه في الغالب من نوع ديني أخلاقي . والاتجاه المدني : وقد كان بصفة رئيسية من نوع سياسى ينحو نحو الحكم الدينى . وكل من هذين الوجهين قريب الصلة بالآخر ولكنهما في التعبير العام مختلفان تماماً . فمن الوجه المكي تطالعنا المحبة والتسامح، ومن الوجه المدني يطالعنا الانفعال وعدم التسامح . وبوحي من روح المدينة ألقى الإسلام بنفسه في طريق العمل العسكري والسياسي .

ولكن ظل هناك بجانب ذلك أيضاً ضوء هادىء من الأخلاق المكية يتوهج في صمت . وقد تغذى هذا الضوء بصفة خاصة بمختلف الأحاديث المأثورة التي وضعت على لسان محمد، وكذلك بأنفاس التصوف الشرقي الذي ذابت فيه المحبة الشاملة لله وللإنسان في وحدة لا تنفصم . والتطور الحديث للإسلام يندفع الآن في تزايد مستمر إلى التوفيق بين هذين الاتجاهين، حيث يتم بصفة خاصة إسقاط أجزاء هامة من المنهج المدني بوصفها لم تعد صالحة(٦٩) .

---

(٦٦) القرآن الكريم منذ نزل وحياً من عند الله - لا تأليفاً من عند محمد - «بلسان عربي مبين» - كما أخبرنا القرآن نفسه - لم يتغير منه حرف واحد، ولم يقم أحد بإعادة صياغته، وقد تكفل الله ذاته بحفظه وصيانته كما نزل أول مرة «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» .

(٦٧) نشر هذا البحث بعنوان «حول الكلمات الأجنبية في القرآن» في : تقارير اجتماعات أكاديمية العلوم بفيينا - القسم الخاص بالتاريخ والفلسفة . العدد ١٠٩ لعام ١٨٨٥ من ص ٤٨١ حتى ص ٥٦٢ .

(٦٨) نشر بحث هوارت بالفرنسية في المجلة الآسيوية - مجلد ١٠ مسلسل ٤ لعام ١٩٠٤ ص ١٢٥-١٦٧ .

(٦٩) جاء ذلك في بحثه «الوجه المزدوج للقرآن» المنشور في حوليه بروسيا - العدد ١٦٧ لعام ١٩١٧ ص ٤٢-٥٤ .

بـــارت :

أما بحث بارت J. Barth «دراسات في نقد القرآن وتفسيره»(٧٠) فإنه لم يتعرض إلى الكشف عن التسلسل الزمني للسور المختلفة ومناسبات نشأتها، ولكن هذه الدراسات تريد أن تفحص الارتباطات أو العلاقات الداخلية للسور، وتفحص الخلل المحتمل في هذه العلاقات، وتريد أن تثبت أن هنـاك إضـافـات إلى العلاقات أو الارتباطات الأصلية، كما تريد أن تقدم إسهامات نقدية أخرى، وأن تقدم أيضاً نقداً للنص.

ومن السور المكية التي تناولتها الدراسة السور التاليـة : ٦، ٧، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥ حتى ٤٣، ٤٦، ٥٦، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١١١(٧١).

كما تناولت الدراسة من السور المدنية ما يأتي : سورة ٢، ٣، ٤، ٩، ٢٢، ٤٧، ٤٨، ٥٧.

الحديـث النبـوي :

(أ) ببليوجرافيا الحديث :

يقدم لنا شوفان ببليوجرافيا موجزة للحديث(٧٢) تقع في قسمين : أما القسم الأول

---

(٧٠) الإسلام كل متكامل : دين ودنيا، عقيدة وشريعة وأخلاق، نظام شـامل للحيـاة بكل أبعـادهـا، لا تنـافـر بين أجزائه، ولا تناقض بين تعاليمه. وهذا ما يجده كل باحث نزيه في القـرآن الكـريم والسنـة النبـويـة الصحيحـة. والإسلام لم يأمر بالقتال حباً في القتال، وإنما لرد العدوان فقط، وعـامل الأعـداء بأخـلاق الإسـلام السمحـة. والتاريخ شاهد على ذلك. وعندما عامل صلاح الدين أعداء الإسـلام من الصليبيين بتسـامح فـريـد من نـوعـه أدهش الصليبيين فإنه كان يطبق تعاليم الإسلام في معاملة الأعداء.
وأخلاق الإسلام لم تكن ولن تكون في حاجة إلى أنفاس التصوف الشرقي لتغذيها. فرسالة الإسلام كلها جـاءت لترسيخ دعائم الأخلاق. وقد لخص النبي ﷺ رسـالتـه كلهـا في هـذه العبـارة الجامعـة «إنما بُعثت لأتمم مكـارم الأخـلاق». أمـا محاولات العلمانيين من أبنـاء المسلمين في العصر الحديث في التخلي عن بعض تعـاليم الإسـلام مسايرة للعصر فهذه أمور لا صلة لها بالإسلام الذي كان وسيظل هو هو، فـلا مبـدل لكلمات الله. ومهما اعترت الإسلام عصور ضعف ناتج عن ضعف أتباعه فإن ذلك يعد أمراً عرضياً سيزول حتماً في يـوم من الأيـام عنـدمـا تتغير العقلية الإسلامية وتعود إلى الفهم الصحيح الواعي للإسلام وتعاليمه.

(٧١) نشر هذا البحث في مجلة الإسلام Der Islam العدد رقم ٦ لعام ١٩١٦ ص ١١٣-١٤٨.

(٧٢) لم ترد أرقام السور في البحث أعلاه على هذا النحو من التسلسل. وقـد رتبنـاهـا على هـذا النحـو حسب تسلسل ورودها في القرآن الكريم.

فإنه يشتمل على مقدمات وأبحاث حول الحديث. وأما القسم الثاني فإنه يتضمن نصوصاً وترجمات (من كتب الحديث)، ومن صحيح البخاري على وجه الخصوص.

ويشير جولدتسيهر في كتابه الكلاسيكي عن الحديث(٧٣) في هامش الصفحة السادسة إلى أهم المراجع التي ظهرت عن الحديث قبل صدور كتابه.

وهناك بطبيعة الحال معلومات ثرية عن المراجع في «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان، وكذلك في «قاموس الشريعة الإسلامية» الممتاز ليونبول، وفي مقالته عن الحديث في دائرة المعارف الإسلامية.

وفي الملحق القيم للمجلد الثاني من كتاب نولدكه «تاريخ القرآن» - الذي قام شفاللي بإعداده إعداداً جديداً - يتناول شفاللي الأحاديث الصحيحة والمراجع الحديثية وذلك عند بحثه لموضوع المصادر المحمدية.

(ب) المجموعات الحديثية:

فهرس ألوارد:

في كل المكتبات الكبيرة (في أوربا) يجد المرء مخطوطات حديثية. وهناك بصفة خاصة مجموعة غنية (من هذه المخطوطات) في حوزة مكتبة برلين. وقد خصص ألوارد(٧٤) لهذه المجموعة المجلد الثالث من الفهرس الذي وضعه للمخطوطات العربية في برلين. وقد جاءت موضوعات هذا المجلد (حسب تقسيمه للمخطوطات) على النحو التالي:

١ - مقدمة في علوم الحديث وأنواعه ومصطلحه.
٢ - مجموعات الكتب الحديثية الست الرئيسية.
٣ - مجموعات حديثية كبيرة أخري.
٤ - مجموعات حديثية صغيرة.
٥ - الأجزاء الحديثية.

---

(٧٣) وذلك في الفصل الذي خصصه للكلام عن القرآن والحديث في المجلد العاشر من كتابه: «فهرس المصنفات العربية أو المصنفات المتصلة بالعرب». وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في صفحة ٨ من هذا البحث.

(٧٤) لقد تحدث جولدتسيهر بالتفصيل عن تطور الحديث في القسم الثانى من كتابه «دراسات محمدية» الذي صدر بالألمانية عام ١٨٩٠ في هالة بألمانيا.

٦ - أحاديث متفرقة .
٧ - الأحاديث المسلسلة، أو سلاسل الحديث .
٨-١٠ أحاديث ذات سلاسل متعددة، أحاديث منسوخة، أحاديث ضعيفة أو موضوعة .
١١ - قطع وشذرات .
١٢ - المعاجم .
١٣ - المبهمات .

صحيح البخاري :

لقد نشر لودولف كريل(٧٥) Krehl عام ١٨٥٠ دراسة عميقة عن البخاري في مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ZDMG ثم قام بإعداد نشرة ضخمة لصحيح البخاري منذ عام ١٨٦٢ . ولكن هذه النشرة لم تكتمل وتوقفت عام ١٨٦٨ . وقد أكمل يونبول نشر الأجزاء الباقية عامي ١٩٠٧ , ١٩٠٨ . ويشتمل النصف الثاني من المجلد الرابع على ختام النص . أما المجلد الخامس فقد تم التخطيط له على أساس أن يشتمل على مقدمة ومعجم للمصطلحات وهوامش وفهارس .

---

(٧٥) فيلهلم ألوارد Ahlwardt (١٨٣٨ - ١٩٠٩) مستشرق ألماني، له جهود كبيرة في مجال الأدب العربي وتاريخه، وقد نشر العديد من دواوين الشعر العربي بعد تحقيقها وشرحها . وبالإضافة إلى شهرته في هذا المجال نال أيضا شهرة واسعة في مجال فهرسة المخطوطات . فقد قام بإنجاز فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين في عشرة مجلدات كبيرة، ونشر هذا الفهرس في برلين في نهاية القرن الماضي (١٨٨٧ - ١٨٩٩) .
وقد وصف ألوارد في هذا الفهرس ما يربو على عشرة آلاف مخطوط عربي وصفاً دقيقاً بلغ فيه الغاية فناً وشمولاً . ولعل مراكز بحوث السنة والسيرة تنتفع بما أورده ألوارد في المجلد الثالث حول مخطوطات الحديث النبوي وعلومه . وعلى الرغم من المآخذ التي نأخذها على المستشرقين في كثير من المواطن فإن هذا لا يمنعنا من أن ننوه بالجهد الكبير الذي قاموا به نحو حفظ المخطوطات العربية وصيانتها والعناية بها عناية فائقة وفهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات، وتذكر اسم المؤلف وتاريخ ميلاده ووفاته، وتاريخ تأليف المخطوط أو نسخه، وبداية ونهاية المخطوط، وتصف حالة المخطوط وحجمه والخط الذي كتب به، وغير ذلك من أمور عديدة قدمت للباحثين خدمة جليلة، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على المخطوطات في مقر وجودها أو طلب تصويرها دون صعوبات روتينية أو اجراءات معقدة كما هو الحال الغالب - للأسف - في كثير من بلادنا الإسلامية . (راجع كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . ص ٧٣ ومابعدها - دار المنار بالقاهرة ١٩٨٩، وراجع أيضاً : المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص ٣٨٣) .

وقد نشر توراى(٧٦) Torrey مختارات جيدة من صحيح البخاري في سلسلة الدراسات السامية Semitic Study – Series .

ومن الأعمال القيّمة جداً بالنسبة لكل هؤلاء الذين يريدون أن يكونوا لأنفسهم صورة عن كتب الحديث الهامة الكثيرة دون أن تكون لديهم دراية باللغة العربية - تُعد الترجمة الفرنسية لصحيح البخاري التي بدأها كل من هوداس O. Houdas ومركيز W. Marcais [٧٧] .

والأمر الهام بالنسبة للمترجمين (المشار إليهما) ينحصر في فتح مغاليق المضمون؛ أما المسألة التي هي في حد ذاتها هامة جداً وهي مسألة سلسلة الرواة فلم يتعرضا لها بالبحث. وقد ألحق بالمجلد الثاني من هذه الترجمة مقدمة مؤقتة تتناول باختصار المراجع الحديثية بصفة عامة، وحياة البخاري وطبيعة كتابه وقواعد الترجمة. وقد أعدت خطة هذه الترجمة على أساس أن تصدير في أربعة مجلدات، يضاف إليها مجلد خامس يشتمل على الفهارس الضرورية والمقدمة النهائية.

مجموعات حديثية أخرى :

وبجانب البخاري يحتل مسلم المنزلة الأسمى في الحديث. وبالإضافة إلى هذين هناك أيضا مجموعات حديثية أخرى لأربعة آخرين.

وقد قام العلماء المسلمون أيضاً فيما بعد بإعداد مجموعات حديثية أخرى كثيرة، ولكنها كانت في أغلب الأحيان لا تعدو أن تكون تجميعاً من مضمون الكتب الستة.

ومن بين هذه المجموعات «مصابيح السنة» للبغوي من القرن الثاني عشر (الميلادي). وقد قام التبريزي بإعادة النظر فيها وإعدادها إعداداً جيداً. وقد قام ماتيوز(٧٨) Matthews بترجمة هذا الإعداد الجديد إلى الإنجليزية عامي ١٨٠٩-١٨١٠

---

(٧٦) ل. كريل (١٨٢٥ - ١٩٠١) مستشرق ألماني، عاون على نشر الجزءين الأولين من نفح الطيب للمقري بمقدمة فرنسية. ونشر من الجامع الصحيح للبخاري ثلاثة أجزاء (ليدن ١٨٦٢-١٨٦٨). ومن مؤلفاته أيضاً كتاب بعنوان: حياة محمد ودعوته (ليتزيج ١٨٨٥) - راجع العقيقي: المرجع السابق ص ٣٧٦.

(٧٧) تشارلز توراي (ولد عام ١٨٦٣) مستشرق أمريكي، كان أستاذاً للغات السامية في جامعة بيل. له العديد من البحوث في مجال الدراسات العربية والإسلامية ودراسات الكتاب المقدس.

(٧٨) صدرت ترجمة هوداس ومركيز في باريس في الفترة من ١٩٠٣ حتى ١٩١٤.

(ونشرت الترجمة في كلكتا). وقد ظل هذا الكتاب مدة طويلة يُعد الترجمة الوحيدة من كتب الحديث العربية إلى لغة أوربية على الرغم من أن بوكوك وماراتشي وسيل قد سبق أن قدموا مقتطفات كثيرة من هذه الكتب. ومجموعة «مصابيح السنة» منتشرة حتى اليوم انتشاراً بعيداً بسبب غزارتها وفائدتها العملية، وهي تعوض المسلم، وبخاصة نصف العالم، عن كل المجموعات الحديثية القديمة الأخرى.

المعجم المفهرس :

الاستخدام العلمي لمضمون «الحديث» الإسلامي لا يتيسر إلا عن طريق معجم أبجدي للكلمات. وينبغي أن يشتمل مثل هذا المعجم على إيراد الكلمات ذات الطابع الخاص والتى ترد في الأحاديث، وأن تكون مصحوبة ببعض الكلمات السابقة عليها أو اللاحقة لها في النص. وهذا أمر يتضح أنه ضروري لغرض الاستدلال السريع (على الحديث المطلوب). وقد شرع في العمل في مثل هذا المعجم يونبول ولإينسنك وهو روفتس وغيرهم. ويريد هؤلاء العلماء أن يبدءوا بصحيح البخاري[٧٩].

(جـ) بحوث حول الحديث :

بحوث متفرقة :

يعد اشبرنجر أول من أشار إلى أهمية الحديث في الإسلام. وبجانب مقالاته المتفرقة في هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار بصفة خاصة بحثه المطول عن السنة في كتابه عن حياة محمد.

وقد خصص موير أيضاً فصلاً مطولاً عن الحديث في كتابه عن سيرة محمد. وكذلك الشأن بصفة عامة في كل البحوث التي تتحدث عن حياة محمد حيث تتناول «الحديث» بالبحث عند مناقشتها لقضية المصادر.

وبدافع من أعمال فايل واشبرنجر وموير يقدم سالزبوري Salisbury إسهامات لمعرفة «الحديث» على أساس من المصادر الأصلية، وبخاصة صحيحي البخاري ومسلم. أما إشارات فون كريمر في كتابه «تاريخ حضارة الشرق» فإنها لا تدعي أنها تقدم شيئاً أكثر من نظرة عامة.

---

(٧٩) ب. ماتيوز مستشرق إنجليزي. نشر كتاب إيمان العرب، وله بحوث عن الشرق الأدنى (العقيقي جـ ٢ ص٦٨).

بحوث جولدتسيهر :

نحن مدينون بالفضل - في الفهم العميق للطابع الحقيقي وللأهمية التاريخية للحديث - للبحوث المختلفة لسنوك هورجرونيه، ولكننا بصفة خاصة ندين بالفضل في ذلك لاجناتس جولدتسيهر Goldziehr الذي يُعد أعمق العارفين بعلم الحديث الإسلامي .

لقد تناول جولدتسهير في القسم الثاني من كتابه «دراسات محمدية» موضوع تطور الحديث تناولاً عميقاً، وراح - بما له من علم عميق واطلاع يفوق كل وصف - يبحث التطور الداخلي والخارجي للحديث من كل النواحي . وقد اغترف من الكثير أينما كان، ولكنه لم يتعثر أو يغرق في المادة الحديثية، بل كان يعرف في كل ماكان كيف يميز بين الأمور الهامة والأمور الثانوية .

وقد أدت به المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في الحديث، ولم يعد يثق فيه مثلما كان «دوزي»(٨٠) لا يزال يفعل في بحثه «مقال في تاريخ الإسلام» . وكان جولدتسيهر يعتبر القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة للتطور الديني والتاريخي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني . فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول : عهد طفولته، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام . ويقدم جولدتسيهر مادة هائلة من الشواهد لمسار التطور الذي قطعه الإسلام في تلك العصور التي تم فيها تشكيله من بين القوي المتناقضة والتباينات الهائلة حتى أصبح في صورته النسقية(٨١) .

---

(٨٠) لقد كتب بفانمولر هذا الكلام عام ١٩٢٣ . وقد تم بعد ذلك نشر المعجم المرتقب تحت عنوان : «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف» في الفترة من عام ١٩٣٦ حتى ١٩٦٩ في سبعة مجلدات كبيرة . ويشمل هذا المعجم كتب الحديث الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل . وقد قدم هذا المعجم خدمة جليلة للباحثين والمشتغلين بالحديث النبوي في الشرق والغرب على السواء .

(٨١) راينهارت دوزي Dozy (١٨٢٠ - ١٨٨٣) مستشرق هولندي كبير، اشتهر بوجه خاص بأبحاثه في تاريخ العرب في أسبانيا، وقد رجع في ذلك إلى معظم المخطوطات الموجودة في أوربا والمتعلقة بهذا الموضوع . ويعد كتابه «تاريخ المسلمين في أسبانيا» - في أربعة مجلدات - من أكبر الأعمال التاريخية التى كتبها المستشرقون . وقد اشتهر دوزي أيضاً بمعجمه «تكملة المعاجم العربية» في جزءين . (موسوعة المستشرقين ص ١٧٢ ومابعدها) .

وبعد فصل تمهيدي يوضح فيه جولدتسيهر مفهوم الحديث ويبين بجلاء الفرق بينه وبين السنة - يصور التطور التدريجي للحديث، ويبرهن بأمثلة كثيرة وقاطعة كيف كان الحديث انعكاساً لروح العصر، وكيف عملت على ذلك الأجيال المختلفة، وكيف راحت كل الأحزاب والاتجاهات في الإسلام تبحث لنفسها من خلال ذلك عن إثبات لشرعيتها بالاستناد إلى مؤسس الإسلام، فأجرت على لسانه الأقوال التى تعبر عن شعاراتها. وبالإضافة إلى ذلك يشير جولدتسيهر إلى أن الحديث كان يعد بمثابة وسيلة لراحة النفس والتسلية عنها، وكيف كان المرء غالباً ما يقوم برحلات طويلة بغرض التزود من الأحاديث الصحيحة.

وبجانب المرويات الشفهية يتناول جولدتسيهر في النهاية في فصلين أخيرين الكتابات التحريرية للحديث وأهم المراجع في الحديث. وهنا يخصص بحثاً خاصاً مطولاً للبخاري ومسلم وكتب السنن الأربعة. ويختم الكتاب بوصف كتب المجموعات المتأخرة التى لم تبلغ أبداً في الشهرة مبلغ الكتب الستة.

وفي جولة جانبية يتناول جولدتسير علاقة الحديث بالعهد الجديد. وله بحوث أخرى في هذا الصدد منشورة في : "Oriens Christianus" . وترمي هذه البحوث إلى بيان أن هناك أقوالاً تعليمية في العهد الجديد قد أخذت (في المحيط الإسلامي) على أنها من تعاليم محمد. والأقوال المأثورة التي تعد من خصوصيات العهد الجديد تم إدخالها في أقوال محمد وأقوال صحابته، ومن هنا استقرت في اللغة الدينية للإسلام، وحتى الصلاة الربانية المسيحية "Das Vaterunser" أدخلت (في الإسلام) على أنها صلاة من تعليم محمد[٨٢].

---

(٨٢) يعد جولدتسيهر أشهر من تولى حملة التشكيك في الحديث النبوي في أوساط المستشرقين، وقد بذل في ذلك جهوداً خارقة، وانتشرت العدوى منه إلى غيره من المستشرقين حتى يومنا هذا.

ولسنا ننكر أن هناك عشرات الآلاف - بل ربما مئات الآلاف - من الأقوال المنسوبة إلى الرسول ﷺ لا أصل لها، ولم تصدر منه عليه الصلاة والسلام، وهذا أمر لم يكن خافياً في يوم من الأيام على علماء المسلمين في مختلف العصور، ولكنه ليس دليلاً على التشكيك في الحديث النبوي كله. فالأمر الذى لاشك فيه هو أن علماء المسلمين الذين اهتموا بجمع الحديث النبوي لم يفرطوا إطلاقاً في ضرورة التدقيق الذي لا حد له في المرويات المنسوبة إلى الرسول ﷺ، فلهم في هذا المجال باع طويل في نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق أو كذب. وقد وصلوا في هذا الأمر إلى أبعد مدى، وتتبعوا الرواة، ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا منعهم عن تجريح الوراة والتشهير بهم ورع ولا حرج.

وبالإضافة إلى تأثيرات العهد الجديد (في الحديث النبوي) يمكن أيضاً إثبات تأثيرات أفلاطونية حديثة وغنوصية في «الحديث». وقد أتت هذه العناصر إلى الإسلام في الغالب عن طريق التصوف. ومن بين العناصر المختلفة لهذا النوع (من التأثير) يشير جولدتسيهر إلى «نظرية عقل العالم» بوصف هذا العقل قد فاض عن الله، وكذلك نظرية الوجود السابق لمحمد(على الخلق)، ويتصل بذلك نظرية الجوهر النوراني للنبي(٨٣).

وقد قيل يوماً ليحيى بن سعيد القطان: أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال: لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم لم تذب الكذب عن حدثيي؟

وقد وضع رجال الحديث القواعد الدقيقة التي ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب. ويعلم جولدتسيهر ذلك حق العلم. وما بذله المسلمون في هذا الصدد لم يبذل أحد من أتباع النصرانية واليهودية عشر معشاره في سبيل توثيق العهدين القديم والجديد. ويعلم جولدتسيهر أيضاً أن إماماً من أئمة الحديث مثل البخاري لم يأخذ في صحيحه بعد حذف المكرر إلا أقل من أربعة آلاف حديث انتقاها من الكم الهائل من الأحاديث التي جمعها والتي زادت على نصف مليون حديث. وقد جاء هذا الانتقاء نتيجة للمناهج العلمية الدقيقة التي وضعها هو وغيره من المحدثين العظام - وقد أجمع المسلمون منذ قرون طويلة على اعتماد كتب الحديث الستة المشهورة.

أما دعوى أن الحديث أو القسم الأكبر منه كان نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأولين، وما ذكره جولدتسيهر من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه... إلخ فإن الواقع والتاريخ يكذبان ذلك. فقد اكتمل الدين تماماً قبل أن يفارق النبي ﷺ هذه الحياة كما جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» (المائدة ٣). وهذه الآية تتضمن أيضاً إكمال السنة، لأن رسول الله مبلغ ومبين في الوقت نفسه لما جاء في القرآن الكريم، وذلك بشهادة القرآن نفسه. فالحديث إذن عن مرحلة نضوج الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ حديث لا أساس له، لأن النضوج كان قد تم بالفعل قبل وفاته عليه السلام. والتطور الذي يمكن تصوره في المحيط الإسلامي هو التطور في الفكر الإسلامي وليس في الإسلام. (راجع كتابنا: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري - ص ١٠٢ وما بعدها - طبعة كتاب الأمة ومؤسسة الرسالة).

(٨٣) هذه المزاعم تعد استمراراً للجهود المضنية التي بذلها كثير من المستشرقين منذ قرون طويلة لمحاولة إثبات اعتماد الإسلام على المسيحية واليهودية وغيرهما من أديان بشرية ومذاهب فلسفية. والقضية بصفة عامة هي أنه إذا كان هناك وجه شبه بين بعض تعاليم الإسلام وتعاليم المسيح الأصلية فإن ذلك يرجع إلى أنهما قد أخذا من مصدر واحد، من رب الوحي سبحانه وتعالى. فليس هناك تأثير ولا تأثر بالمعنى الذي يفهمه جولدتسيهر وأمثاله.

أما الصلاة الربانية المسيحية (بالإنجليزية The Lord's Prayer) التي أشار جولدتسيهر إلى أنها قد أدخلت في الإسلام، فلست أدري أي صلاة تلك من بين الصلوات المعروفة في الإسلام؟ فالصلوات الإسلامية - مفروضة أم نافلة - يعرفها العامة والخاصة من المسلمين منذ شرعها الإسلام، وشكل الصلاة في الإسلام يختلف تمام الاختلاف عن شكل الصلاة في المسيحية. فالادعاءات التي يدعيها جولدتسير هنا لا محل لها.

وفي حين كان المرء في أقدم عصور الإسلام يروي أحاديث باسم النبي بطريقة لا تحفظ فيها، فإن عواقب ذلك ظهرت من الناحية الأخرى في التخوف والحيطة في نقل قول مأثور على أنه حديث من أحاديث النبي، فإذا بدا أنه من المشكوك فيه التثبت من شيء مردي على نحو شفهي على أنه حديث للنبي فإن ذلك كان أكثر مدعاة للتخوف من تسجيل مثل هذه المرديات كتابة. وقد تناول جولدتسيهر هذه القضية أيضاً في العدد ٦١ من مجلة الجمعية الألمانية الشرقية "ZDMG" .

وبجهد لا يتوقف أتى جولدتسيهر بمادة جديدة لمراجع علم الحديث في الإسلام. وهكذا يقدم لنا صورة عن مسند الإمام أحمد بن حنبل على أساس عدد من المخطوطات المختلفة (مجلة الجمعية الألمانية الشرقية ٥٠).

نولدكه :

واستناداً إلى بحوث جولدتسهير حول نشأة الحديث يبحث نولدكه كيف أثرت الأحزاب السياسية على المرويات التى تتحدث عن أول الذين دخلوا في الإسلام وعن أجداد العباسيين والعلويين أيضاً، ويؤكد نولدكه أن المرء كان مولعاً باختلاق شهادات للخصم لتمجيد رجل من حزبه موصوف بالتقدير والاحترام بصفة خاصة.

هوروفتس :

أما هوروفتس(٨٤) Hororitz فإنه يبين في بداية بحثه أن الإسناد كان عادة متبعة في أقدم كتب الحديث التي وصلت إلينا، وكذلك في كتب السيرة كما هو الحال في أقدم ما وصل إلينا من ذلك وهو سيرة محمد لابن اسحاق. ولكن الإسناد كان مستخدماً

والأمر يختلف إذا كان المقصود أن هناك بعض العناصر المسيحية والإسرائيلية قد دخلت إلى بعض كتب التفسير الإسلامية، فهذا أمر لا نستبعده ولا ننكره. ولعل هذا ما دعا كلية أصول الدين بجامعة الأزهر إلى إدخال مادة دراسية جديدة ضمن مقررات قسم التفسير وعلوم القرآن وهي مادة «الدخيل في التفسير» بهدف التنبيه إلى العناصر الأجنبية الغريبة عن الفكر الإسلامي الصحيح والتي تسربت إلى كتب التفسير بحسن نية من مؤلفى هذه الكتب.

(٨٤) هناك من غير شك عناصر أجنبية تأثر بها لون من ألوان التصوف الإسلامي وهو التصوف الفلسفي. وهذه عناصر غريبة عن الإسلام، ولا يوجد في أصول الإسلام (القرآن الكريم والسنة الصحيحة) ما يؤيدها. ومن هنا فإنه إذا وردت أقوال منسوبة إلى رسول الله ﷺ في هذا الصدد فهي أقوال يعرف المحدثون المسلمون تماماً أنها ليست أحاديث صحيحة وبالتالي فلا وزن لها. وهذا أمر أعتقد أن جولدتسيهر كان يعرفه معرفة تامة.

أيضاً قبل ابن إسحق في دوائر العلماء من جامعى الحديث أو من الرواة. ويرى هوروفتش أن أول دخول للإسناد في مراجع الحديث لم يكن متأخراً عن الثلث الأخير من القرن الأول للهجرة.

وفي القسم الثاني من بحثه يؤكد هوروفتس أن الإسناد لم يكن من اختراع العلماء العرب، فلدينا نموذج في هذا الصدد من الممارسة العملية للمدارس اليهودية في العصر التلمودي. وطبقاً لهذا النموذج أدخل نظام الإسناد في المرويات الإسلامية(٨٥).

يونبول:

وهناك مقالة ممتازة عن الحديث كتبها يونبول في دائرة المعارف الإسلامية. وقد تناول فيها النقاط التالية: ١ - مضمون الحديث وخصائصه، ٢ - نقد المسلمين للحديث، ٣ - التمييز بين مرويات الحديث، ٤ - مجموعات الأحاديث، ٥ - انتشار الحديث. وقائمة المراجع.

---

(٨٥) جوزيف هوروفتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) مستشرق ألماني، كان أستاذاً للعربية في جامعة عليكره بالهند ثم أستاذاً بجامعة فرانكفورت، له العديد من البحوث في مجال الدراسات الإسلامية والعربية، وله جهود في مجال التحقيق لبعض كتب التراث. (المستشرقون للعقيقي جـ٢ ط٤ ص ٤٣٢ ومابعدها).

(٨٦) إن وجود وجه شبه بين فكرة من الأفكار لدى شعب من الشعوب وفكرة أخرى لدى شعب آخر لا يلزم منه بالضرورة أن يكون أي منهما قد نقل عن الآخر إلا إذا كان هناك دليل قاطع على ذلك. وليس لدى هوروفتس دليل حقيقي على إثبات نقل المسلمين لفكرة الإسناد عن اليهود. والعقل ليس وقفاً على أمة دون أمة، فقد أعطى الله العقل لكل الناس. ولم يكن المسلمون في حاجة إلى تعلم فكرة الإسناد من اليهود أو من غيرهم. فقد اقتضت الضرورة العملية والدينية لدى المسلمين توثيق ما يروى عن النبي ﷺ لما يترتب على هذه المرويات من أمور دينية لها أهميتها البالغة في حياة المسلمين الدينية والدنيوية، نظراً لأن السنة وهي المصدر الثاني للإسلام تعد من قبيل الوحي الإلهي لأن محمدا ﷺ لم يكن يشرع للمسلمين من عند نفسه.

ومن هنا كانت ضرورة التحري عمن روى عن النبى ﷺ حتى لا تنقل عنه أخبار أو أحاديث مجهولة الراوى، أو تروى على لسان كاذب، وقد جاء القرآن محذراً من قبول الأخبار التي تأتي على ألسنة من لا يوثق بهم: ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنأ فتبينوا﴾ (الحجرات ٦). وبذلك وضع القرآن الكريم أمام المسلمين أهم قاعدة من قواعد النقد التاريخي. وتتمثل هذه القاعدة في أن أخلاق الراوى تعد عاملاً هاماً في الحكم على روايته. وقد أفاد المسلمون إفادة عظيمة من هذه القاعدة وطبقوها على رواة الأحاديث النبوية الذين يشكلون سلسلة الإسناد.